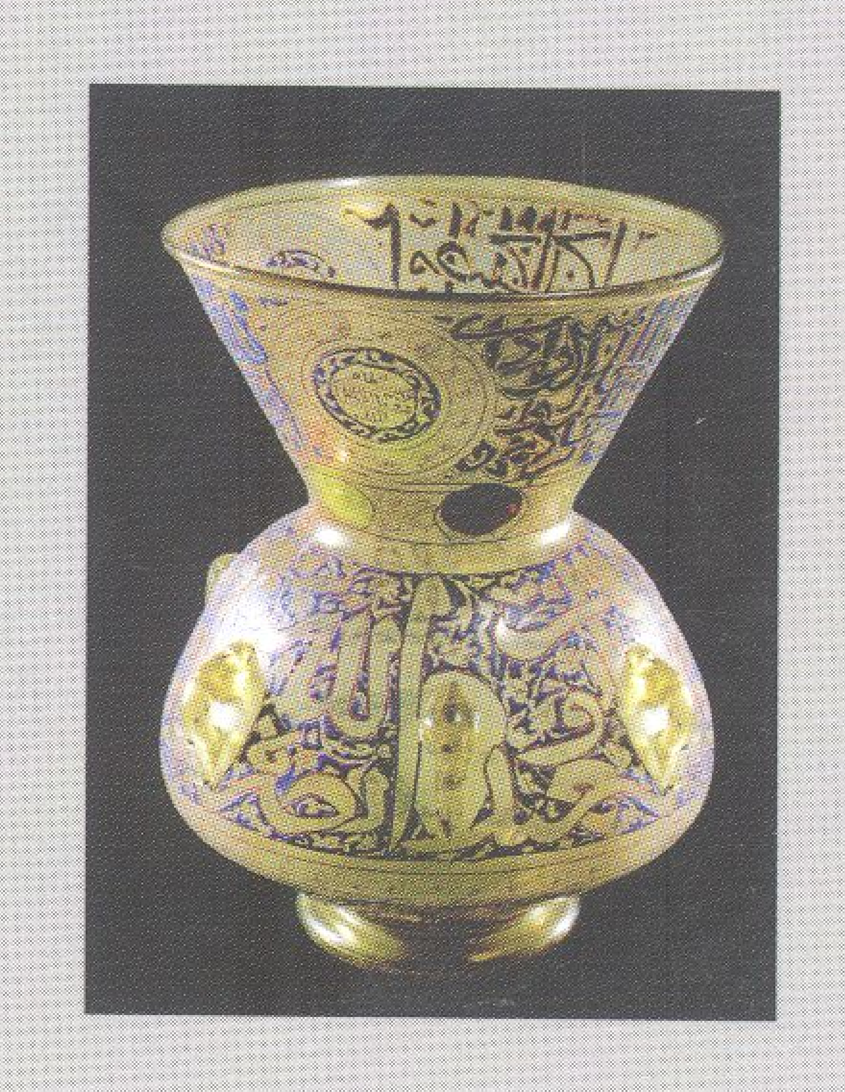
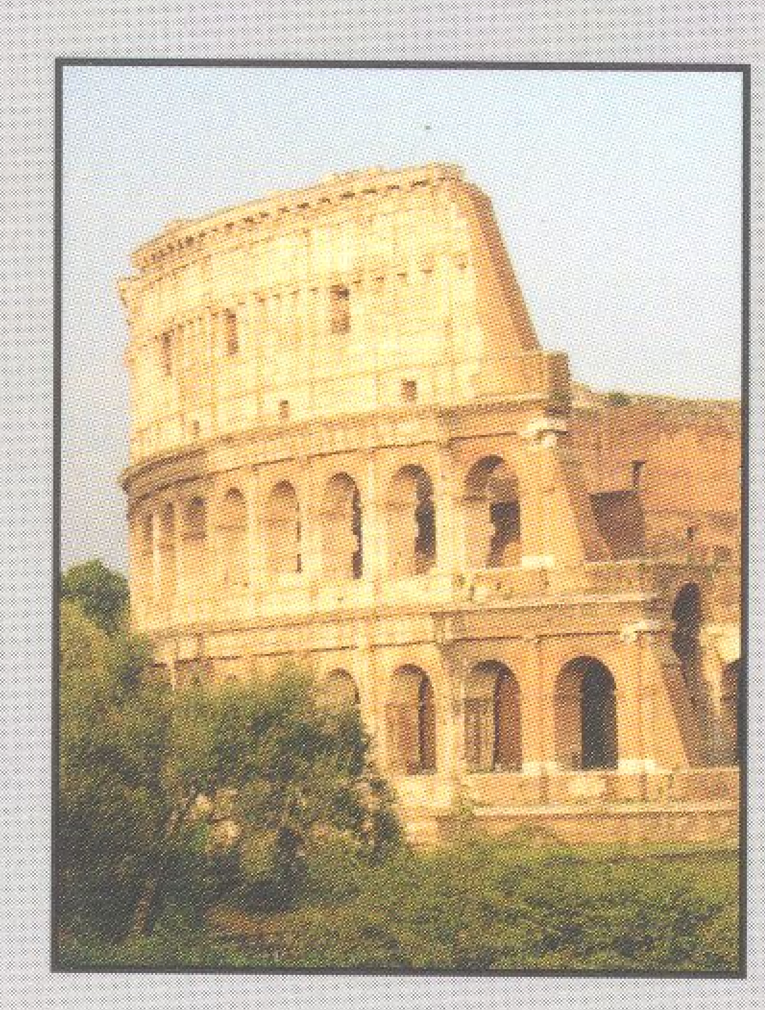
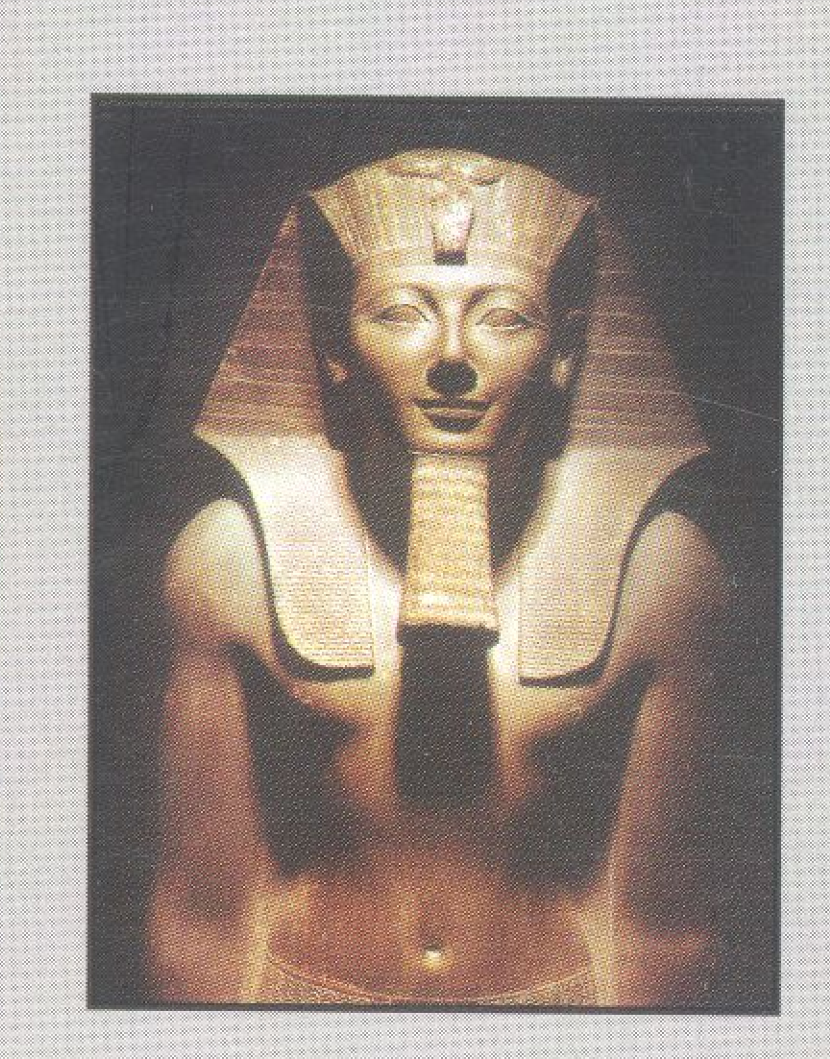
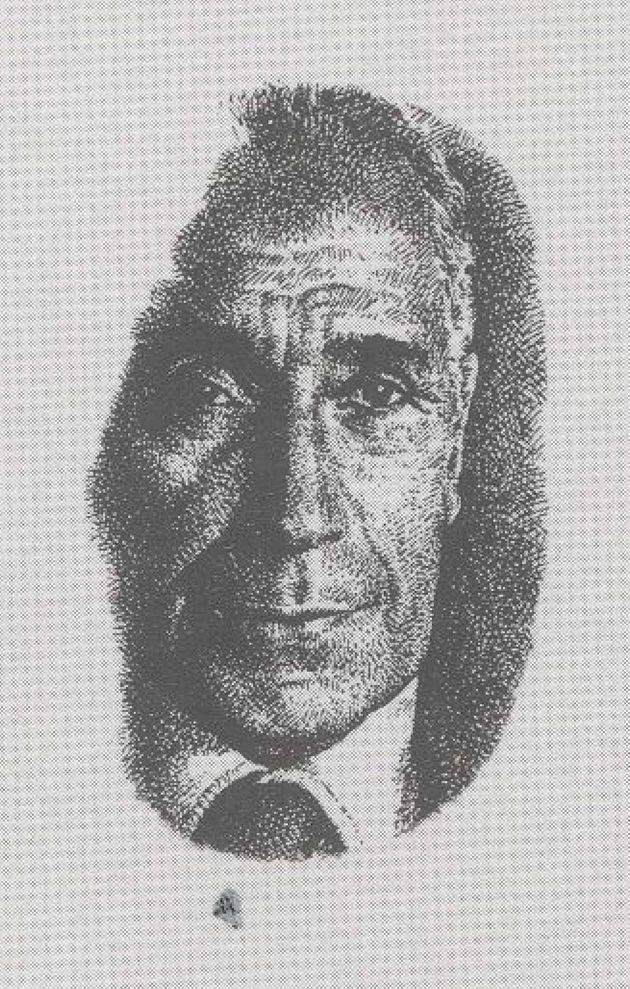






محمّد حَسنين هيكل



على هامش
صراع الحضارات

(رؤية صحفى)

دار الشروق

على هامش
صراع الحضارات
(رؤية صحفى)

الطبعة الأولى ٢٠٠٩

رقم الإيداع ٢٠٠٩/٤٠٩٠
ISBN 978-977-09-2615-3

٨ شارع سيبويه المصرى
مدينة نصر - القاهرة - مصر
تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩
فاكس: ٢٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
email: dar@shorouk.com
www.shorouk.com

مَحَمّدحَسنين هيكل

على هامش
صراع الحضارات

(رؤية صحفى)

دار الشروق

مقدمة

هذه مجموعة من ثلاثة أحاديث في موضوع الثقافة والحضارة، وبالأصح فهي أحاديث على هامش الموضوع، عندما ثار حوله حوار واسع على اتساع العالم، بعد أن طرح الأستاذ «صمويل هنتنجتون» نظريته الشهيرة، ومؤداها أن صراع الحضارات هو شكل التناقضات الخطرة في الزمن الجديد.

وقد شدني هذا الحوار رغم أنني غير مختص بموضوعه، لأنه بدا لي أنه مطلوب «سياسة» حتى وإن بدا لأول وهلة أن طرحه في هذا التوقيت - بعد انتهاء الحرب الباردة - مطلوب «فكر».

وكذلك دعاني الموضوع إلى مقاربته: دراسة وكتابة وحديثا - ومن موقع صحفي متابع، له حق المشاركة في الحوار ولو دون اختصاص.

وبين دفتي هذا الكتاب ثلاث مشاركات فى الحوار:

الأولى: ورقة أولية كتبتها وبعثت بها إلى عدد من الأصدقاء، بينهم الدكتور «محمد خاتمي» رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية الأسبق، وهو من أبرز المهتمين بالموضوع باعتباره أستاذ فلسفة، وكان اهتمامه به كبيرا إلى درجة أنه في فترة رئاسته شارك في دورة خاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة خُصصت لمناقشتها، ثم إنه قام على إنشاء معهد لصراع وحوار الحضارات مقره في «طهران»، وله فرع رئيسي في «چنيف».

وكانت هناك خلافات بين وجهة نظر الرئيس الفيلسوف وبيني - صحفي مهتم - ثم دار بيننا ـ بعد قرأ ما كتبت ـ نقاش قضينا فيه سهرة بطولها، وتفضل فأرسل إلي تعليقا بخط يده باللغة الفارسية، وظنى أننا تلاقينا في بعض المواضع، واختلفنا في مواضع أخرى.

أما المشاركة الثانية فقد جاءت على شكل محاضرة دعتني إليها جامعة «أكسفورد» بمناسبة إنشاء كلية جديدة للصحافة فيها، ورَأَسَ جلسة المحاضرة اللورد «كريس باتن» وهو رئيس مجلس أمناء جامعة «أكسفورد»، وكان من قبل وزيرا في حكومة «مارجريت تاتشر»، ثم انتقل من الوزارة إلى منصب مندوب بريطانيا في الاتحاد الأوروبي، حتى دعته جامعة «أكسفورد» إلى رئاسة مجلس أمنائها.

وعندما وجَّه إليَّ اللورد «باتن» دعوة أكسفورد - فإنه تفضل وترك حرية ما أريد أن أتكلم فيه - واخترت موضوع صراع الحضارات، إذ خطر لي أن «أكسفورد» يمكن أن تكون موقعا مناسبا لرؤية مختلفة حول قضية تباينت فيها الآراء - إلى جانب أنها قد تكون مدخلا مباشرا إلى مسألة حيوية في العلاقات بين الشرق والغرب - في هذه المرحلة بالذات من قصة العلاقات المتشابكة والمعقدة بين الطرفين.

وأخيرا فإن المشاركة الثالثة كانت محاضرة في مناسبة افتتاح متحف الفن الإسلامي في الدوحة، وهو المتحف الذي صممه المهندس الياباني الأشهر «باي» - وهو نفس الرجل الذي صمم أهرامات اللوڤر البلورية في باريس، بتشجيع من الرئيس الفرنسي الأسبق «فرانسوا ميتران»، وكنت قد تابعت الضجة التي أثارتها «أهرامات اللوڤر» التي تقف الآن في ساحته الرحبة، شاهدا على الترابط والتواصل بين الثقافات، وكنت ولازلت أعتقد أنه لولا مساندة «ميتران» لذلك العبقري الياباني - لما تحقق ذلك اللقاء بين القصر الفرنسي والهرم الفرعوني، خطا من الإشعاع الثقافي، ساريا من «الجيزة» - إلى «كيوتو» - إلى «باريس».

ومع أن محاضرة متحف الفن الإسلامي في الدوحة لم تكن عن صراع وحوار الحضارات، وإنما عن الفن الإسلامي وراء كل الحدود - فإن حديث الفن الإسلامي استدعى حديث الثقافة الإسلامية، والثقافة استدعت حديث الحضارة الإنسانية، وهكذا جاءت الصلة بين المشاركات الثلاثة حتى وإن كانت بالاستدعاء أو بالتداعي.

□ □ □

وحين اقترحت «دار الشروق» جمع المشاركات الثلاثة في إطار كتاب - أو كتيب - فقد وافقت متحمسا لإضافة رأي مختلف إلى آراء كثيرين سبقوا إلى تناول الموضوع.

لكن لديَّ على الفور تذكرة - أو لعلها شبه تنبيه - فهذه المشاركات الثلاثة محاولة صحفي - غير مختص أو متخصص.

ثم إن لديَّ في النهاية اعتذار - أو لعله شبه اعتذار - فلقد قاربت موضوعا لست من أهله بظن ـ لا يزال يلح علي ملخصه أن القضية: «أغلبها» «سياسية» وفي أقله فكر أن طرحه في التوقيت الذي طُرح فيه

كان «سياسة» أكثر مما كان، فإذا كان ظني صحيحا فقد أجيز لنفسي أن أشارك في مناقشة الموضوع، وإذا لم يكن صحيحا فاعتذاري عن المجازفة قائم - بل وهو سابق!

محمد حسنين هيكل

ورقـة حـوار

ثقافات متعددة وحضارة واحدة

قبل المجازفة بإبداء بعض الملاحظات السريعة عن موضوع صراع الحضارات - أو حوارها كما يريد بعض ذوي النوايا الطيبة أو يأملون - فإني أريد الإشارة إلى تمهيد ملخصه أن تاريخ الفعل الإنساني يعرف ثلاثة مسارات رئيسية:

- مسار الفكر - الثقافة - الحضارة.
- مسار الإنتاج - التراكم - الثروة.
- مسار السيطرة - الصراع - السلاح.

ومع أن هناك وصلات ظاهرة وغير ظاهرة بين المسارات الثلاثة فإنه يمكن التمييز بينها، ويمكن التركيز ولو للحظة على أحدها بالتخصيص، وذلك ما أفعله الآن.

ومن هذا المنطق فإنني سوف أقصر ملاحظاتي هنا على المسار الأول وهو موضوع ثار الجدل حوله وطال - ولا يزال.

١ - إنني قريب من مدرسة ترجح أنه ليس هناك ما يمكن أن نسميه صراع حضارات - أو حوار حضارات - والسبب أن هناك حضارة إنسانية واحدة صبت فيها شعوب وأمم وأقاليم الدنيا، على طول التاريخ أفضل ما توصلت له من رقي وتقدم.

وإذا اعتبرت - بقصد مزيد من التحديد - أن ثقافة أي مجتمع هي مجمل ما تحصل عليه - في ظروف موقعه، وعلى مسار تاريخه، من خبرات

ومعارف وفنون - فإننا بنفس المقدار نستطيع القول بأن الحضارة هي أرفع وأنفع ما وضعته ثقافات الشعوب والأمم والأقاليم في المجمع العالمي للثقافات المتنوعة، والذي هو محيط الحضارة الإنسانية.

□

والذي حدث على طول التاريخ أن ما حققته المجتمعات المتعددة من ثقافات متنوعة انتقل بالاختيار المفتوح وبالطلب الحر - عندما بان نفعه وتأكدت قيمته -إلى الأقاليم المحيطة بموطنه وهناك تفاعل مع ما وجد، ثم راح ما تجمع في الأقاليم ينتشر - بثبوت نفعه وصلاحيته - إلى أفق أوسع وأبعد، ومرة ثانية فعل وتفاعل، ثم تحول مجمع الثقافات إلى محيط حضاري لا يحتاج إلى إلحاح أو إلى سلاح، لأن شراكة الجميع فيه، وحاجة الكل إليه، تجعله ثروة بالمشاع بينهم وادخارا لطموحاتهم عندما تحركها هممهم.

□ □ □

٢- والمعنى أن المجتمعات الإنسانية كل منها حيث هي - أنتجت ثقافة حوت مجمل خبراتها ومعارفها وفنونها، ثم إن ما كان صالحا، مقبولا، ونافعا من هذه الثقافة انتقل منها إلى غيرها، أي من البلدان إلى الأقاليم - ومن الأقاليم إلى الدنيا المفتوحة.

وإذا حاولنا أن نبحث عن نموذج من التاريخ الطويل للإنسانية، فإن الزراعة قد تكون النموذج الأول والأوضح.

فعندما توصلت بعض المجتمعات في الشرق الأدنى إلى تجربة ومعرفة وكشف أسرار الزراعة وأساليبها، فقد تكونت في هذه المجتمعات ثقافة خصبة، وعندما عرفت مجتمعات أخرى شرقا وغربا - ورأت بالاتصال

- وجربت واستوعبت - فإن ثقافة الزراعة أصبحت حضارة إنسانية مفتوحة، لا تحتاج إلى صراع ولا إقناع.

فحضارة الزراعة على طول العالم وعرضه، وعلى امتداد التاريخ وتدفقه، تعرفت على بناء البيت والمخزن، واستعملت الفأس والمحراث، واكتشفت الطنبور والساقية، وحفظت البذور وقوتها، وسمدت الأرض وأثرتها، وأتقنت هندسة شق القنوات، ومنها إلى وسائل رفع المياه وتخزينها من سد مأرب في اليمن إلى سد أسوان العالي في مصر.

□ □ □

٣- وما فعلته ثقافات - وحضارة عصر الزراعة في البلدان والأقاليم وما وراءها تكرر في مجالات أخرى أولها التجارة وبعدها التفكير الحر والتعبير الخلاق بالكلمة واللون والصوت، حتى جاء أكبر المجالات وأخطرها وهو مجال الصناعة، ومجال الاتصال والمواصلات وبه تحققت إمكانيات تكنولوچية عالمية بازغة يبرز فيها من يقدر عليها، خصوصا أولئك الذين يستطيعون الربط الخلاق بين النظرية والتطبيق. إن تلك الحركة شملت بالتوازي تنظيم الحقوق وإدارة شئون المجتمعات، حتى استقرت وترسخت فكرة وروح وحكم القانون، وتوالت عصور الانتشار الفكري من الكلمة المطبوعة إلى الصورة المرئية، ومن السماوات المفتوحة إلى المعلومات المتاحة، وكل ذلك بالتواصل والتفاعل دون حاجة إلى إلحاح يقنع أو سلاح يفرض، طالما أن المجتمعات البشرية لديها ذلك التشوق والتسابق نحو مطالب الرقي والتقدم.

وكذلك راح تدفق الثقافات المتنوعة يفيض على المُجمع الحضاري يملؤه ويحركه وينشط فعله وتفاعلاته.

□ □ □

٤- وإذا جرى تشبيه هذه الحركة الإنسانية بواقع ما جرى ويجري في الطبيعة ذاتها، فربما أمكن القول أن الثقافات كانت بمثابة ينابيع وجداول وأنهار جرت فيها المياه وتدفقت وفاضت على جوارها الإقليمي - ثم إن هذا الجوار أخذ من هذا الفيض ما كانت مجتمعاته مستعدة لاستعماله لزيادة منافعها وتحقيق أقصى الممكن من مطالبها - ثم إن هذا البحر الذي تلاقى فيه الفيض الإنساني للثقافات المحلية والإقليمية أكمل زحفه وانتشاره حتى وصل إلى المحيط المفتوح أمام كل شراع وأمام أي ملاح لديه الجسارة ومعه خريطة وبوصلة.

(أوَ أليس صحيحا أن الجغرافيا هي أم التاريخ، وحاضنته، ومدرسته، وكتابه ومعمله؟!).

معنى ذلك أن ينابيع الثقافات الوطنية التي تدفقت في جداول وأفرع وأنهار، وتلاقت في أقاليمها، وصنعت ما يمكن تسميته ببحار أو أحواض حضارية اندفعت كما تفعل البحار حين ترتفع مناسيبها وحين تجد معابرها - إلى المحيط الأعظم الذي يحيط بالقارات كلها، وذلك فعل طبيعي - يقول للجميع بالجغرافيا أنه عالم واحد، كما يقول للجميع بالتاريخ أنها تجربة مشتركة لا يحق لطرف أن يحتكر فضاءها، كما لا يجوز لطرف أن يتنازل عن نصيبه فيها.

(على أن ذلك لم يمنع بعض البحار أن تبقى مغلقة على نفسها، وقد تعطل بعضها ضحلا أو راكدا في مكانه، كما أن بعضها الآخر بإتمام انغلاقه عن غيره تحول - مثل البحر الميت - إلى بؤرة ملوحة (أو مرارة)، معزولة في موقعها، محكوم عليها بالانزواء والفناء).

□ □ □

٥- وإذا أردنا دليلا على شراكة الحضارة من مجال آخر لا يحتمل

كثرة الظنون فأمامنا مجال العلم، فالعلم سياق واحد ملأته ينابيع وموارد ومصادر متعددة - خطوة موصولة بخطوة موصولة - دون علم وطني يرتفع أو جواز سفر يسمح أو يحجز - بمعنى أنه ليست هناك مثلا فيزياء أو كيمياء أو فلك أو رياضيات أوروبية صرف - أو صينية صرف - أو هندية صرف - أو عربية إسلامية صرف، وإنما هناك علم واحد صب فيه الجميع من كل نبع ومن كل نهر ومن كل بحر حتى وصل الفيض إلى المحيط المشترك الأكبر، وهناك حافظت على عالميته وفتحتها لكل من يرغب ويستطيع - أدوات للاقتراب والتناول تنظمها شروط متعالية على كل الأجناس وفوق كل الأقاليم.

[أليس لافتا للنظر أن ما جرى في حضارة الزراعة - وحضارة العلوم - وحضارة الصناعة من تأثيرات تحولت بسرعة إلى أساليب حياة كل يوم وحتى إلى مذاقها.

فعندما وضع كبير خدم اللورد «ساندويتش» الاسكتلندي شريحة لحم بين طبقتين من الخبز اختصارا لوقت سيده أثناء رحلة مفاجئة - عرف العالم كله وجبة الساندويتش، ولم يتبق للتاريخ من النبيل الاسكتلندي وكبير خدمه سوى اسمه واصلا إلى العصور الحديثة، حتى دون معرفة بأصل الحكاية.

وعندما عثر الرحالة الإيطالي «ماركوبولو» على عجائن المكرونة وعاد بها إلى إيطاليا، تحولت بسرعة إلى فن إيطالي ثم إلى مطبخ عالمي.

ثم تكرر نفس الشيء مع الوجبات الأمريكية المشهورة التي هي الآن أشهر طعام في العصر الأمريكي].

□ □ □

٦- وإذا اعتمدنا هذه الصور فنحن أمام حضارة إنسانية واحدة شاركت في صنعها وفي فيضها وفي حركتها ثقافات متعددة المنابع والموارد والمصادر، فكلها أعطت وزودت، وكلها أضافت وزادت، وكلها أغنت وأثرت، وبالتالي فإنها من العمق إلى السطح شراكة إنسانية حقيقية وكاملة.

لكن المحاولات الإمبراطورية للاستيلاء على الحضارة الإنسانية ونسبتها إلى قوة بعينها - ظاهرة معروفة وليست جديدة، فمن قبل ادعت إمبراطوريات أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أنها تقوم باستعمار آسيا وأفريقيا تحملا لعبء الرجل الأبيض The white man's burden.

فهذا الرجل الأبيض - على حد ادعاء الشاعر الإنجليزي «رديارد كيبلنج» - مكلف برسالة اقتياد الشعوب السوداء والسمراء - ولو بالقيود والسلاسل - من صحاري وغابات التخلف إلى شواطئ المحيط الحضاري الإنساني الجامع.

وكان القول في زمانه ادعاءً تبشيريا يتفق مع مناخ عصره.

□ □ □

لكن الإمبراطورية الأمريكية عندما جاء عصرها بالغت وتجاوزت بكثير، خصوصا بعد أن تحولت إلى قوة فائقة Hyper Power - غداة نشوة النصر المشهود في الحرب الباردة.

وقد خطر لها في هذا السياق أن مطالب السيطرة والصراع والسلاح تسمح لها بادعاء ملكية الحضارة ووراثتها على نحو قطعي - ونهائي.

(وليس مصادفة - دون أن يكون بالضرورة مؤامرة - أن حكاية صراع الحضارات - وحكاية نهاية التاريخ - توافق ظهورها مع الغلبة الإمبراطورية في الحرب الباردة، دون تنبه كاف - عندهم كثيرا - وعند غيرهم أحيانا - إلى أن وهم القوة لا يعطي أصحابه احتكارا، ولا يسلب غيرهم حقا، في الشراكة الإنسانية الأوسع، لأن هذه الشراكة في الحضارة أقوى من السلاح ومن الإلحاح، حتى إذا اجتمعا معا في مشروع إمبراطوري يملك أكبر ترسانة نووية جنبا إلى جنب مع أوسع شبكة للمعلومات «الإنترنت»).

والواقع أنه عندما خرجت الإمبراطورية الأمريكية غالبة في صراع الحرب الباردة - وكان ذلك قبل مفاجأة ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بكثير، فإنها رسمت لاستراتيجية زمانها الجديد عدة خطوط - فهي:

- تريد أن تحتفظ بتقدمها وتمنع ظهور منافس خطر عليها كما حدث مع كل الإمبراطوريات وذلك بالاستيلاء على الحضارة الإنسانية (نهاية التاريخ).

- وتريد أن تخفف من مسئوليتها تجاه الأقاليم التي تعثر فيضها وجفت منابعها، فهذه بالتخلف أصبحت عبئا على المحيط الحضاري، تريد أن تأخذ منه إلى الأبد بينما عطاؤها توقف من زمن (صراع الحضارات).

- ثم إن الإمبراطورية تريد أن تؤكد سطوتها الأبدية بإظهار تفوقها وخصوصا السلاح، وهكذا وقعت استعراضات التفرد الأمريكي في كل الميادين ابتداءً من استثناء كل أمريكي من أي مساءلة دولية مهما فعل - وإلى تميز التجارة الأمريكية في كل الأسواق بصرف النظر عن حرية السوق - وإلى استئثار بحقوق الملكية العلمية والفنية في كثير مما

كان متاحا في مجمع الحضارة الأكبر قبل أن تظهر الدولة الأمريكية من الأصل - ثم إنها لا تقبل أن تردع نفسها عن تلويث البيئة تملصا من قيود تفرض على غيرها حرصا على كوكب الأرض نفسه - كما أنها تطلب احتكار موارد الطاقة وليس مجرد النهم في استهلاكها - ثم زاد أن الإمبراطورية الأمريكية تريد الآن أن تستولي بوضع اليد على الحضارة الإنسانية بأسرها لتختم طابعها على المحيط بأسره تأكيدا نهائيا وتقنينا شرعيا لتفوق أبدي (خطط المحافظين الجدد).

- وضمن هذه المحاولة لجأت الإمبراطورية إلى حروب رخيصة تستغل بطش الصدمة والرعب Shock & Awe في مناطق ضعيفة ورخوة بأقل التكاليف، كي تظهر هول الجحيم الذي أعدته لمن يعصي، وكذلك تحولت أفغانستان وتحول العراق إلى ساحات دم ولهب - مأساتها أنها لا تعرف في معظم الأحيان هدفا واضحا أو خطة استراتيجية مدروسة (وعلى أي حال فقد جاءت النتائج الواقعة مغايرة للمطامع والغزوات).

□ □ □

٧- وإذا عُدت الآن إلى مقولة صراع الحضارات أو حوارها فربما تكون النقطة الجوهرية أنه يتحتم التفرقة باستمرار بين شراكة الحضارة وبين صراعات القوة، فالقوة ميدان تصويب وضرب نار، والحضارة شراكة ومحيط أنوار.

وهنا فإن حقائق الحضارة تمنع الاستيلاء عليها لحساب أي طرف، كما ترفض التنازل عن الحق فيها تحت أي وصف.

□ □ □

٨- يترتب على التمسك بالحق الحضاري ورفض أي استدراج إلى الإزاحة أو العزل بمقولات الصراع أو الحوار - لابد أن يصاحبه إدراك وتصميم يصون هذا الحق عن التورط في صدام أعمى أو في جدل عقيم - وذلك وضع يشبه إلى حد ما وضع من يتمسك بحقه في أرضه.

- إذا أراد سندا لهذا الحق بوسائل الصراع، فلابد له من القدرة تعزز الحق.

- وإذا أراد سندا لهذا الحق ببلاغة الإقناع، فإن سحر الكلمة لا يغني عن كفاءة الفعل، والقدرة على الفعل هنا ليست السلاح، بل لعل السلاح آخر وسائلها، وإنما وسائل القدرة هي بذاتها وسائل العصر.

وقد يكون السياق في هذا الموضع مناسبا لإشارة نحو ما تستطيع القدرة أن تحققه حتى في مواجهة التحيزات الصارخة، وفيها ما نسميه ازدواجية المعايير في السياسة الدولية.

[قبل سنوات وحين كان لهذا الإقليم العربي الإسلامي بعض القدرة - فإنه تمكن من استصدار قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة يعتبر الصهيونية نوعا من أنواع العنصرية - لكنه بعد سنوات وعندما حل العجز محل القدرة سقط ذلك القرار، وكان العرب المسلمون بين الذين صوتوا لإسقاطه، ثم صدر بدلا منه قرار يعتبر مناقشة المحرقة اليهودية سواء في وقائعها أو في أعداد ضحاياها جريمة إنسانية تستوجب العقاب.

ولم يكن القرار الأول مجرد ازدواجية معايير لصالح طرف، ولا كان القرار الثاني مجرد ازدواجية معايير لصالح الطرف الآخر، لكنه في الحالتين كان حركة موازين ترجح أو تخف وفق ما يسندها من إرادة الفعل - وقدرة الفعل!].

ويستلفت النظر أن الثقافات الصينية والهندوكية لم تهدر وقتا غاليا في حكاية «صراع أو حوار الحضارات»، ففي هذه الثقافات الآسيوية كانوا على يقين من أنهم شركاء بثقافاتهم في المحيط الواسع، وبهذا اليقين أدركوا أن وسيلتهم الرئيسية لتحقيق أهليتهم في حق الشراكة - أن يبنوا من وسائل القدرة على الفعل ما يمنع مهانة الظلم، أو استعلاء الاحتكار، أو الاجتراء على نفي شراكة الآخرين.

ومن المدهش أن ثقافات الصين والهند والتي كانت الأبعد بالمسافات عن البحار المركزية الأولى للتدفق الثقافي إلى المنبع وإلى البحر وإلى المحيط - أظهرت تمسكا وثيقا بحقها، بينما تخبطت ووهنت ثقافات الشرق الأدنى وهي الأقرب والأكثر إسهاما في الكل الحضاري المشترك، فهي التي أعطته الأديان السماوية كلها - وبالذات المسيحية - التي نسمع منهم الآن أنها الدعوى الحضارية الأولى لمراكز الغلبة الراهنة.

[أليس لافتا للنظر مرة ثانية أن مذاق طعام حوض الحضارة الصيني وجد طريقه ليحقق انتشارا عالميا واسعا، وأخرج تنويعات مختلفة على مذاقه الأصلي (يابانية وتايلاندية وفيتنامية).

كما أخرج حوض الحضارة الهندي بدوره مذاقه ولكن بأسلوب آخر - فإذا كانت إنجلترا قد احتلت الهند بجيوشها قرنين من الزمان، فإن المذاق الهندي يحتل بريطانيا إلى آخر الزمان بمشروب الشاي ومسحوق الكاري].

□ □ □

٩- ومن سوء الحظ أن الثقافة العربية - الإسلامية المعاصرة بتأثير ما ترسب فيها من شوائب وعوالق، وما أصابها من ضعف ووهن، وما لحق أصحابها من عقد بسبب طول مقاساة غلبة الفاتحين وسيطرة

المستبدين – كانت مهيأة على نحو ما لمحاولة الإقصاء والاستبعاد من شراكة الحضارة.

وحين قلنا بصراع الحضارات – فقد اعترفنا بالعزلة.

وحين دعينا – أو دعونا للحوار – فقد ذهبنا لما يشبه طلب إذن باللجوء من متظلم إلى متحكم، ولم ندرك أن الحقوق ملكية أصحابها إذا استطاعوا إثبات جدارتهم بها، وليس تواضع الآخرين للسماح لهم ببعضها، ثم إن كل حوار على الحوار بينهم وبين غيرهم لا نهاية له، خصوصا إذا وقع – وهو يوشك أن يقع الآن – وانزلقت العلاقات بين الأطراف إلى صراعات سياسية تتحول بسرعة إلى حروب هويات دينية وعرقية، فعند هذه الدرجة أي كلام يكون بين غرباء أو بين أعداء، عداوة لا تحتمل غير انتصار طرف وهزيمة آخر! – وهنا يموت الحوار أو ينتحر مهما قلنا ومهما قالوا.

[أليس لافتا للنظر مرة ثالثة أن الحوض الحضاري لثقافات الشرق الأدنى لم يستطع أن ينشر مذاقا مميزا له خارج إقليمه، ولعل ما عنده تعرض لتلبك غذائي، كما تعطلت صلته بالحضارة بسبب نوع آخر من التلبك الناشئ من تخمة التيارات المتضاربة التي أصابت المنطقة ولوثتها!].

□ □ □

١٠ – والغريب أننا حين قبلنا فكرة صراع الحضارات أو حتى حوار الحضارات بالمنطق الذي قُدم لنا – فإننا سلمنا بالقسمة، أي أننا تنازلنا عن الشراكة من أول لحظة. ودخلنا في حوزة الآخرين وعلى جدول أعمالهم.

ربما كان الأولى أن نبدأ حوارا مع النفس نعرف فيه بالضبط من نحن؟ - وأين نحن؟ - وماذا نريد؟

وكان مثل ذلك الحوار مع النفس كفيلا بتأكيد عدة مسائل:

- أولها: الوعي بالحق في شراكة الحضارة دون إقصاء أو استبعاد.
- وثانيها: الجدارة بهذا الحق عن طريق دعمه بقيم العصر، وأولها روح الحرية والعلم والقانون، دون العودة إلى الماضي والبحث في كهوف التراث المهجورة (وليس في حدائقه الزاهرة) عن سبب للتقوقع بعيدا عن قيم العصر بدعوى الخصوصية، وهو نوع من الهرب مقصود إذ ليس هناك تصادم بين التنوع المحلي للثقافات وبين المشترك في الحضارة الإنسانية - بل هناك تفاعل وتدفق مساير بالطبيعة لحركة التاريخ.
- وثالثها: أننا في حاجة إلى فهم ودرس واستيعاب وحوار متواصل مع الدنيا كلها، ولكن في قضايا ومعضلات الرقي والتقدم، فهناك طلبنا وهو أولى من تحرير عريضة لطلب عضوية في نادٍ لابد أن يقبل بنا مجلس إدارته (عن طريق قبول التماسنا أو التحفظ عليه بكرات بيضاء أو كرات سوداء)، فنحن هناك في ذلك النادي الحضاري من لحظة تأسيسه وضمن أوائل المؤسسين، لكنها عضوية غير عاملة - خاملة (إذا جاز التعبير).
- ورابعها: تجنب فخاخ الاستدراج والاستنزاف بسبب ما يفعله آخرون من أصحاب الغرض في الإقصاء والاستبعاد، هؤلاء الذين تنبهوا بسرعة إلى ما لحق بالعقلية العربية الإسلامية جراء عصور القهر والظلام، فإذا هم يحاولون تثبيت الانكسار

وتعميقه في العقل وفي الإرادة لدى العرب والمسلمين، والسبيل إلى ذلك استثارتهم بين الحين والآخر بما يدفعهم أكثر وأكثر إلى عزلة البحر الميت وملوحة مياهه (ومرارتها).

□ □ □

لقد اكتشفوا أنه يكفيهم أن يلمسوا الثقافة العربية الإسلامية في عزيز عليها، فإذا هي تستثار وتغضب – ثم تتراجع وتتباعد بحيث تعزل نفسها وتتنازل أكثر وأكثر عن نصيبها في شراكة الحضارة.

والمحزن أن هناك من اعتدى على المقدسات العربية عملا – وليس لمسا – حين سيطر على المسجد الأقصى في القدس. وفي نفس الاتجاه فإن ذات الطرف رسم خنزيرا وكتب عليه اسم الرسول الأعز الأكرم.

وهناك – غيره – قام بتوظيف الدين الإسلامي – قديمه وجديده – في حرب باردة عليه – ساخنة على شباب عربي ومسلم في أفغانستان – ثم أمسك في النهاية بمن حاربوا لحسابه ووضعهم وراء القضبان في جوانتانامو، ثم داس بالأقدام على كتابهم الكريم ومزق صفحاته ورماها في المرحاض أمام عيون الجميع في المعسكرات وخارجها.

وفي هذا كله لم يغضب أحد – بل تستر كثيرون.

ولكننا مع ذلك رحنا – نحن الذين لم نغضب من الفعل – نثور باللمس كأننا كنا نبحث عن أهداف سهلة رخيصة.

حدث ذلك سابقا في تجربة قريبة – هي رواية آيات شيطانية.

(نتيجة الثورة والغضب – زادت شهرة كاتبها).

وتكرر على نطاق أوسع في تجربة أخيرة – هي الرسوم الدانمركية.

(نتيجة الثورة والغضب - تكرار نشر الرسوم في عدد من عواصم الدنيا، وكذلك سمع الناس عن رساميها وناشريها لأول مرة في حياتهم).

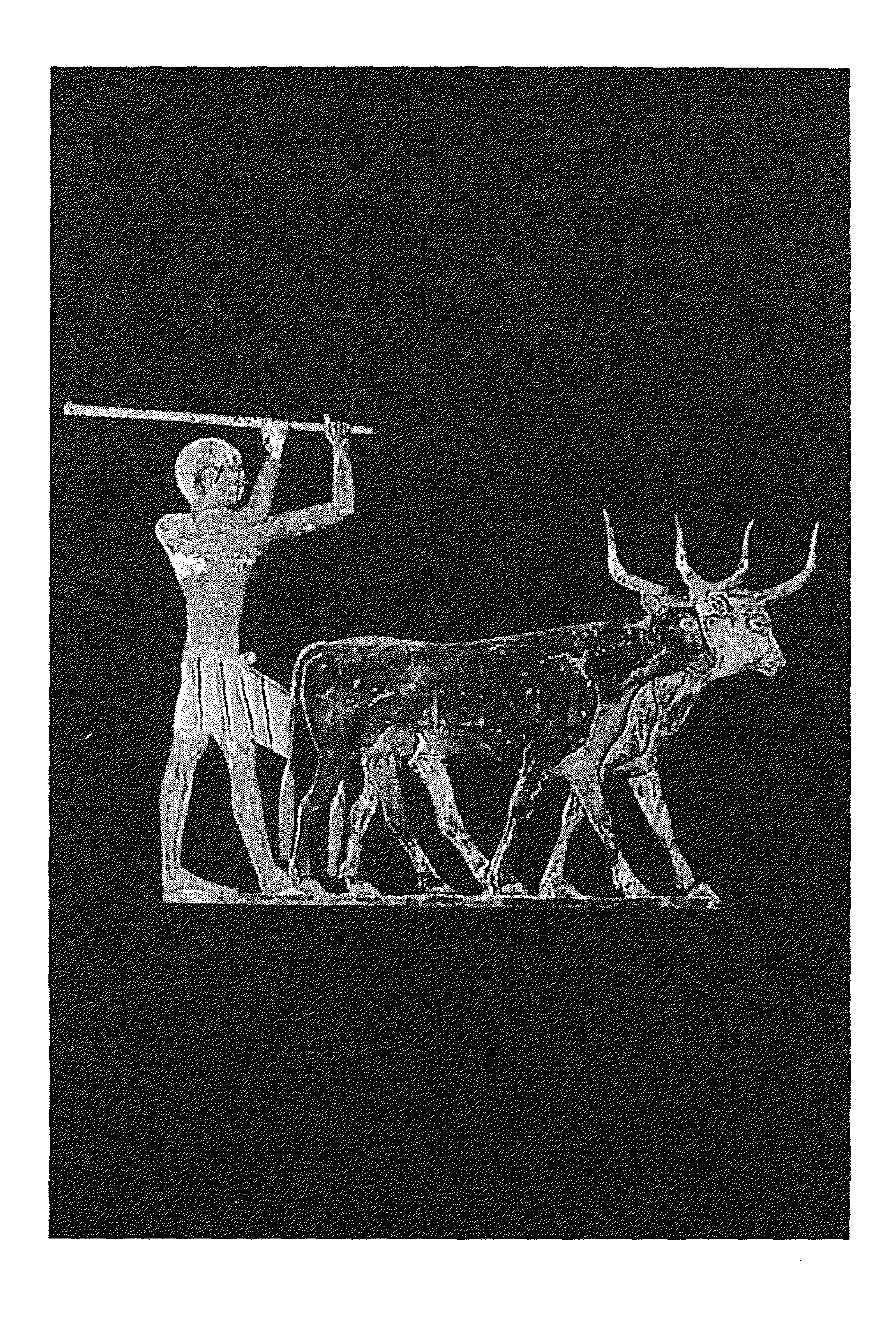
كأن كاتبا - حتى لو كان اسمه «سلمان رشدي» - يستطيع أن يعتدي على الإسلام، أو كأن رسام خطوط لا يكاد الناس يعرفون اسمه في صحيفة مجهولة يستطيع إهانة الرسول الأعز والأكرم - أو كأن وزيرا إيطاليا شديد الحمق يستطيع أن يشتم الإسلام لأنه ارتدى قميصا عليه رسوم بالغة الانحطاط عديمة القيمة!

لكنهم اكتشفوا وجربوا كيف يحركون من ردود الفعل ما يستثيره الضعف ولا تأبه به القوة.

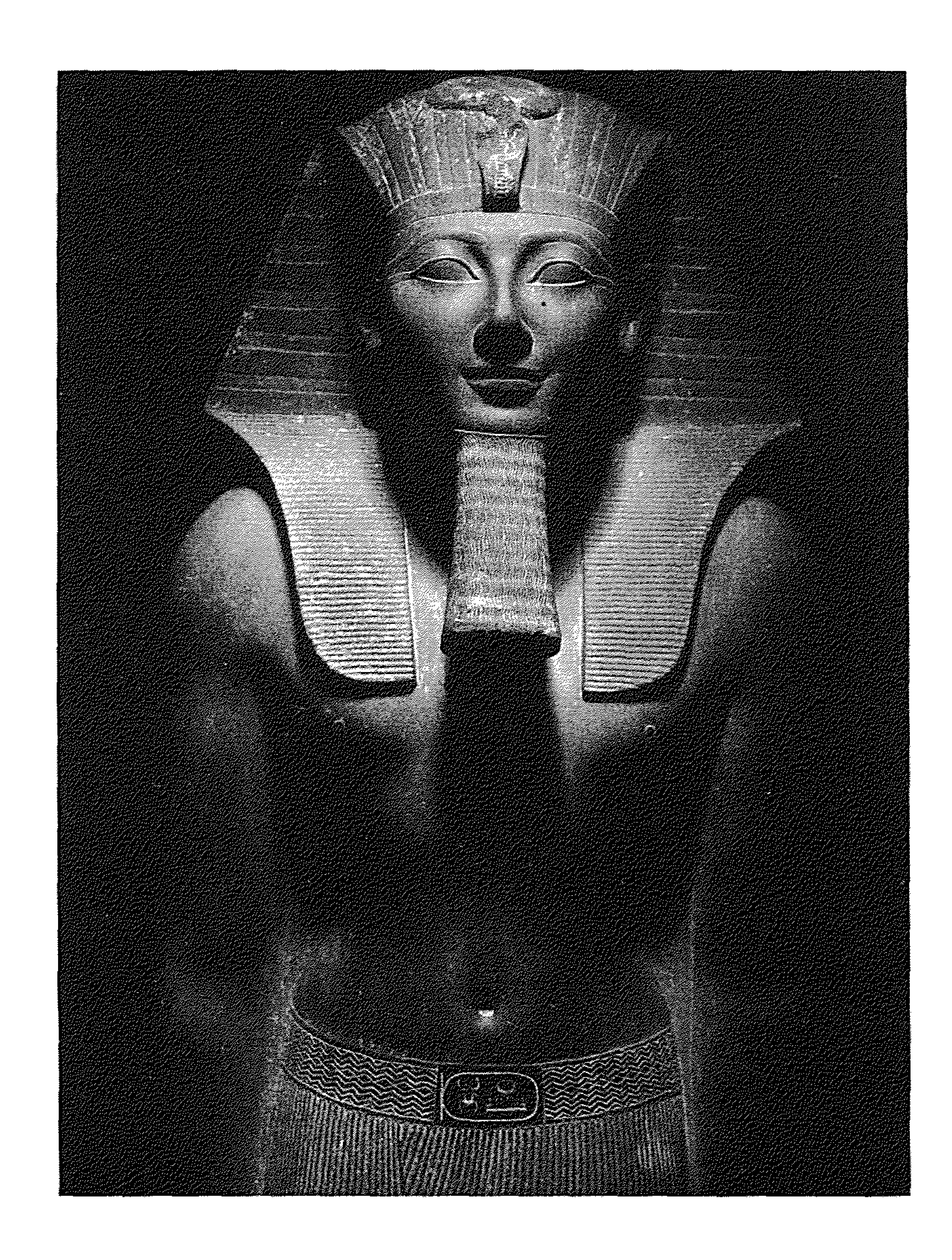
وفي المحصلة فإننا نجد أنفسنا بالواقع وبسهولة شديدة - محزنة في نفس الوقت - نساعد على تحويل صراعات سياسية إلى حروب هويات حضارية تخرج غاضبة منسحبة من شراكة التقدم الإنساني الجامع والشامل مع أي استفزاز - يتحول بالإثارة إلى فتنة، ويتحول بالفتنة إلى حرب، ويتحول بالحرب إلى قطيعة، ويتحول بالقطيعة إلى حصار للذات، ومن سوء الحظ أن حكومات عربية إسلامية - بوعي أو بغير وعي - تصرفت حِيال الفتنة بقدر كبير من قصر النظر في إدارة الأزمات إن لم يكن بقدر كبير من سوء النية بمحاولة استغلال الفتنة للإلهاء والتغييب.

وقد أضيف لاستكمال الرؤية والرأي - أن رغبة الاستغلال لم تقتصر على الحكومات، وإنما تعدتها إلى مؤسسات وأفراد، بادعاء أن الترياق الشافي من الفتن يتحقق بالوفود تذهب والوفود تجيء، وبالمؤتمرات تعقد والمؤتمرات تنفض، وبالأوراق تقرأ ثم بالأوراق تُنسى لكي يجري تدويرها وتعود إلى إنتاج نفسها من جديد.

تلك كلها باختصار وساوس تجمح بأصحابها إلى حيث لا يريدون ولا يقصدون، فإذا هي عودة من شواطئ المحيط الإنساني الواسع وحيويته الخلاقة إلى دروب وعرة موحلة تؤدي إلى البحر الميت وموجه الراكد وأملاحه الزائدة!!







محاضرة في «أوكسفورد»

شراكة الكل ـ وحق الجميع

- يسعدني ويشرفني أن تتفضلوا بدعوتي أول متحدث في المحاضرة التذكارية بكلية الصحافة التي أسس لها هذا التوافق بين جامعة «أوكسفورد» ووكالة «رويترز».

إن هذا التوافق بين جامعة عريقة (أوكسفورد) ووكالة أنباء شهيرة (رويترز) يصعب أن يكون لقاء مصادفات، إذا دققنا أسبابه وتمثلنا نتائجه.

ومن وجهة نظر عملية – وعلمية كذلك – فإن الصحافة على تنوع وسائلها وأدواتها لديها ثلاث طرق اقتراب واضحة إلى وظيفتها الحيوية في مجتمعات الحرية والتقدم.

- أول طرق الاقتراب: أن تكون الصحافة – مكتوبة أو مسموعة أو مرئية – خطوطا مفتوحة تنقل القرار السياسي على اختلاف مجالاته: داخلية وخارجية – اقتصادية واجتماعية – استراتيجية وعسكرية – من مواقع صُنعه إلى أوسع دوائر المواطنة التي يهمها شأنه، بحيث يتأكد الحق العام في العلم به، وتتوافر إمكانية التعرف على موجباته، والاستعداد لآثاره وتكاليفه، والاطمئنان إلى اتساقه مع الإرادة العامة في الوطن وخارجه، ولكي يظل تحت المتابعة الدستورية والقانونية، ويصبح الرأي العام قادرا على ممارسة مسئولية الرقابة عليه، والقدرة على إعادة توجيهه ديمقراطيا إذا لزم.

• وطريق الاقتراب الثاني: أن تكون وسائل الصحافة وأدواتها خطوطا مفتوحة - أيضا - ما بين مجالات الفكر والعلم والفن من مراكز حيويتها، سواء في الجامعات، أو المعاهد ومراكز البحث، أو مسارح العرض والأداء وأشكالها المتعددة في التعبير - إلى جمهور واسع له الحق أن يرى ويستوعب ويستمتع.

• وطريق الاقتراب الثالث: أن تحاول نفس الوسائل والأدوات قصاراها كي تنقل وتستثير أنفع وأرفع حوار بين القرار السياسي وشئونه الجارية وقضاياه واهتماماته - وبين الأفكار وقدرتها على تخصيب الفعل الإنساني وتوليده، لكي يجمع الحوار ما بين الفعل والفكر، ويؤكد القيمة ويحفز إرادة إنسانية ذكية وقوية - وهنا فإن التوافق بين الجامعة العريقة ووكالة الأنباء الشهيرة يصبح مرغوبا فيه ومطلوبا.

□ □ □

إن طرق الاقتراب الثلاثة كما وصفتها لا تحقق مطلوبها بهذه البساطة التي وصفتها، فالواقع العملي أكثر تعقيدا، لأن مراكز صُنع القرار لا تمارس فعلها في المثالي المفترض، وإنما تمارسه تحت سطوة صراعات تاريخية كبرى ومصالح يتعارض بعضها مع بعض، والكثير منها غائر في زمانه، أو جامح في مقاصده، أو عنيف في ممارساته، وفي ظل هذه الأحوال فإن القرار السياسي تحكمه - بالقطع - عوامل غير مثالية!

• بالتوازي فإن مجالات صُنع الأفكار ومنجزات العلوم وتجليات الفنون لا تطرح ما لديها في ذات الفضاء المثالي المفترض، وإنما تتأثر هذه المجالات في مجمل نشاطها بضغوط يناسبها أن تضرب علها تزيح، أو تحجب علها تحتكر، وهنا تبرز عوائق تعرقل المثال الحر للقيمة والقدوة.

• يلي ذلك أن قنوات الاتصال التي تمثلها الصحافة لا تمارس دورها في نقل الأخبار والأفكار وصوت وصدى الحوار، على خطوط مستقيمة سالكة ومطهرة، وإنما تتعرض قنواتها المفتوحة على الطرق الطويلة لأنواع ودرجات من التدخل والتحيز تمليها الصراعات والضغوط والمصالح، وحتى الأهواء والأمزجة.

□ □ □

• إنني سعيد بهذه الفرصة التي أتحتموها لي كي أتحدث أمامكم في هذه المناسبة التي توافقت فيها جامعة عريقة مع وكالة أنباء شهيرة على لقاء يسهم في دعم كفاءة الإعلام من حيث إعداده وتأهيله لأداء دوره دون عوائق بين القرار والأفكار والحوار، وبحيث يتحمل هذا الإعلام مسئوليته في أزمنة متغيرة.

• إننا نتحدث كثيرا عن عالم واحد لكن مثل هذا الحديث فيه قدر من المبالغة، أو ربما التمني، فقد نكون في حكم الجغرافيا عالما واحدا، لكننا في حكم التاريخ عالمان: شمال وجنوب، وليس يجدي أن نتأدب ونجامل في الحقيقة، وكذلك ليس يجدي أن نكتفي بالنظر إلى النخب المتعولمة في الجنوب، وننسى الكتل الهائلة من البشر وراءها - بل وبعيدا عنها.

إن هناك عالمين: شمال وجنوب - والفجوة بين الاثنين واسعة وخطرة، وهي تزداد اتساعا وخطرا إذ تلتبس الحقائق وتتداخل الهواجس بين المثالي المفترض وبين الواقع العملي المعقد عند صناع القرار والأفكار، وعندما تتلكأ قنوات النقل والتدفق الحر، وتتلوى مرات وتنسد مرات، وتصبح الفجوة هوة، والهوة هاوية، وتتحول الرسالة لغما في حرف أو قنبلة في رسم!

□ □ □

إذا كانت دعوتكم مبعث سعادة وشرف لي، فهي في ذات اللحظة مسئولية تدعوني أن أتحدث معكم بصراحة وأمانة، أزعم أنها قد تكون مقبولة مني وربما مغفورة.

ذلك أنني رجل من عالم الجنوب يدرك هموم عالمه لأنه يعيش واقعها، وهو يتحدث إلى عالم الشمال ويحسب أنه يستطيع فهمه، بظن أن الظروف أتاحت له أن يعيش مهنة الصحافة في الجنوب وفي الشمال معا، فقد كتب في العالم العربي وعنه، ومارس في الجريدة والكتاب والتليفزيون هناك، ثم إن الظروف منحته فرصة أن يمارس هنا كذلك - وانطلاقا من هذا البلد بالتحديد، حيث قامت صحف ودوريات بريطانية عديدة مثل «التيمس» و«الجارديان» و«الإوندبندنت» و«الأبزرفر» بنشر مقالاته وأحاديثه، ثم إن مؤسسات نشر عريقة قامت بإصدار الطبعات الأصلية من كتبه، فظهرت كاملة في المكتبات لطالبيها، ثم نشرت على فصول مسلسلة حملتها صحف كبرى مثل «الصنداي تلجراف» و«الصنداي تيمس» إلى جانب مقالات وأحاديث وغيرها، وكل ذلك أخذ عمله إلى لغات كثيرة وصلت به واسعا وبعيدا!

□ □ □

قلت إن انتمائي لعالم الجنوب يجعلني مدركا لهمومه ومشاكله، وقلت إنني زائر للشمال يظن أو يتوهم أنه يتفهم هذا العالم ومحركاته، وقلت إن المسافة بين العالمين واسعة وتزداد اتساعا، وأسمح لنفسي بالقول ومن هذه الحافة بين العالمين بأننا نحتاج الآن وبسرعة إلى جسور لعبور هذه المسافة، وإلا تصادمت الكتل ووقعت انفجارات مهولة تسقط مثل الكواكب التي يختل مدارها في ثقوب سوداء في مجاهل الفضاء! -

وبعض ذلك وارد، واحتمالاته تتزايد إن لم نبذل جهدا، وأول الجهد أن نتصارح، مهما كانت المصارحة مزعجة!

دعوني أبدأ وأقول بتعميم إجمالي أن عالمنا في الجنوب يشعر بأن القرار الصادر من مراكز القوة الدولية - كما يصل إليه - يصدمه بقسوة لا يبدو أنها تأبه وتهتم - وبإصرار على العنف لا يبدو أنه يخشى أو يتحرج - ثم إن صوت الحوار لا يدعوه إلى مشاركة، لأن القرار في معظم الأحيان ينقض عليه بغتة ودهما.

يشعر عالمنا في الجنوب كذلك أن دنيا الأفكار والعلوم والفنون - كما تضيء أمامه من بعيد - ليست مقبلة عليه أو مرحبة به كما يأمل ويتمنى.

ثم إن صوت الحوار يصل إلى الجنوب - إذا وصل - مثقلا بشوائب من التحيز بل والعدوانية!

وهنا وفي هذا السياق فإنني أستأذن أن أطرح أمامكم ثلاث ملاحظات، آمل أن توضع في اعتباركم، راجيا ألا يعتبر القول فيها نوعا من الشكوى أو عارضا من هواجس عقد نفسية لدى القائلين بها، وإذا بدا ظاهر هذه الملاحظات بعيدا عن الموضوع، فإنني آمل في صبركم لعله يتضح أنها قريبة منه إن لم تكن في صميمه.

أولى الملاحظات: أننا لسنا أمام صراع حضارات متعددة متعارضة يمكن أن تتصادم أو تتصالح، لأن شواهد التطور التاريخي تومئ إلينا بأنها حضارة إنسانية واحدة، صب فيها الجميع ما زاد عندهم أوقات الفيض، وسحب منها الجميع ما لزمهم أوقات الجفاف، وساعدوا - كل في زمانه - على ملء خزان هائل للحضارة الإنسانية أصبح شراكة طبيعية ورصيدا جماعيا متاحًا بالحق لمن يريد ويستطيع.

ومن المفيد هنا أن نتذكر أنه مع اتساع الأرض واتصال التاريخ - فإن كافة الشعوب والأمم قدمت ما راكمته من ثقافات البيئة والمعرفة والتجربة - وعن طريق الانتقال الحر للمنافع - إضافات سخية ومستمرة وتلقائية - إلى المشترك البشري الجامع.

ذلك أحدث حالة التأمل والفلسفة بحثا عن الحق والحقيقة - حالة كشف العقل حين تعرف الناس في الفجر الإنساني الأول على ملكات التصور، وتوصلوا إلى سر الحرف في الأبجدية وسحر الرقم في العدد - حالة التنبه إلى معجزة الزراعة - حالة صناعة الأدوات والمعدات - حالة فنون المعمار - حالة فتح الطرق واستئناس وسائل المواصلات - حالة صنع السفن وركوب البحار - حالة النظر إلى الفلك ومسارات النجوم، إلى آخره.

في هذه الحالات وغيرها فإن الثقافات الطالعة في كل مكان شقت جداول وينابيع محلية، فاضت على جوارها عندما تبين هذا الجوار نفعها، ثم التقت هذه الجداول والينابيع لتكوِّن ما يمكن أن نسميه مجمع ثقافات أو أحواض حضارة بعضها يكاد يكون مرسوما محددا كخط بالقلم ومثاله الأظهر حوض البحر الأبيض - ثم إن الأحواض الحضارية في كل إقليم من أقاليم الدنيا امتلأت وفاضت، وتمددت واتصلت بحيث بسطت محيطا واسعا لحضارة إنسانية قابلة للانتشار، قادرة على العطاء، عابرة للزمان والمكان.

وعلى امتداد عملية التفاعل بين الثقافات وهي تتدفق من مواقعها الأولية وأحواضها الأوسع إلى المحيط الكبير، وما بين الصب والسحب من الرصيد المشترك للحضارة الإنسانية فإن الحوض الحضاري للبحر الأبيض تحركت عليه تيارات تتبدى وكأنها خريطة مناخية حية موصولة بين معابد وقصور بابل ومنف إلى أروقة وأعمدة أثينا - إلى

مكتبة الإسكندرية، إلى دار الحكمة في بغداد – إلى دمشق – إلى قرطبة، ثم عبر صقلية نحو جنوب أوروبا – إلى إيطاليا – ثم إلى الشمال نحو ألمانيا وفرنسا وبريطانيا، ثم يتجه الخط عابرا للأطلسي إلى أمريكا ينفذ من الشاطئ إلى الشاطئ في اتجاه الباسيفيك، ليعود فيطل على شرق آسيا، فإذا الحيوية المتجددة لفيض البحر الأبيض عبر الأطلنطي – تجتاز المحيط الهادي لكي تلتقي هناك بالحوض العميق للحضارة الصينية.

لقد تصادف هذا الصيف أنني وقفت أمام مكتبة الإسكندرية التي أعيد بناؤها، ثم كنت بعد أيام عند سفح «الأكروبول»، ثم صعدت سلم كنيسة القديس «بطرس» في الفاتيكان، ثم تجولت متأملا معالم النهضة ومقتنيات القصور في «فلورنسا»، ثم مشيت فوق جسور ڤينيسيا نحو ميدان القديس «مرقس»، وعند هذه المواقع ومشاهدها فقد ملأت خواطري عبارة كتبها الأستاذ Stefano Carboni أمين متحف «المتروبوليتان» في نيويورك قال فيها: «إن حوض البحر الأبيض المتوسط حدود سائلة! «Liquid Frontiers»، وذلك وصف دقيق لحركة الثقافات في صنع أحواض حضارية، ثم فيضان هذه الأحواض لتصنع محيطا حضاريا عالميا وإنسانيا واحدا، وربما أننا إذا عدنا لحظة إلى مجال السياسة نتذكر أن هذا المحيط الإنساني ينسب – ولو من باب المجاز – في كل عصر إلى القوة الغالبة فيه: فهو فرعوني في عصر – إغريقي في عصر ثان – روماني في عصر ثالث – مسيحي في عصر رابع – إسلامي في عصر خامس – أوروبي في عصر سادس – أمريكي هذه اللحظة العابرة!

ومع تعدد اللغات في حالة الثقافات، فإن الحضارة لها لغة رئيسية في كل آن – هي لغة القوة الغالبة في زمانها، فهذه اللغة الرئيسية نطقت يونانية لحظة – لاتينية لحظة أخرى – عربية بعد ذلك – ثم فرنسية أو إنجليزية في هذا الزمان – وقد تصبح نبرة أخرى غدا أو بعد غد!

وعلى تقلب العصور فإن غلبة القوة لا يصح أن تُنسينا شراكة الرصيد الإنساني لمحيط الحضارة - فوق أي إمبراطورية - أو لغة!

□ □ □

أنتقل إلى ملاحظة ثانية ملخصها أنه قبل سنوات قليلة وقع استغلال فجيعة إنسانية محزنة ضربت مدينة نيويورك في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، وبهذا الاستغلال تحولت الفجيعة إلى عملية تلاعب مقصود بالصور وبأسلوب خداع البصر، فإذا العالم يفاجأ بأن صورة المسلم - عربيا وغير عربي - قد أزيحت لتحل محلها صورة المتعصب الإرهابي، ثم تضافرت عناصر من عوالم القرار والأفكار والحوار تحت ضغوط المصالح المتصارعة بقصد ترسيخ هذا التلاعب بالصور وخداع البصر، إلى حد إعادة كتابة قصة الإرهاب في التاريخ، فإذا الشمال بريء منه، وإذا الشرق الأقصى بعيد عنه، وإذا الدين الإسلامي وحده مرادف للانتحار والقتل في المخيلة العامة الشائعة في الشمال.

نلاحظ أن رمزا دينيا له مقامه هو بابا الفاتيكان «بنديكت السادس عشر» وقف يتحدث عن الإسلام وعن الحضارة في جامعة ألمانية، فإذا هو يلحق «التمدن» بالشمال، والهمجية بالجنوب الإسلامي، ويقرر ولو بالتلميح أن الفارق بين العالمين: «أن الغرب أخذ من المسيحية ثم من الفلسفة اليونانية ما يميزه عن غيره في إعلاء قيمة الإنسان»، وكان أمل كثيرين ورجاؤهم لو تذكر خليفة «بطرس الرسول» أن المسيحية كلها غيث نزل على الشرق وفاض على الغرب رسالة وحكمة - حواريين وقديسين - قصصا وتعاليم - صلوات وترانيم، كما أن السيد «المسيح» نفسه من مواليد «الناصرة»، والقديس «بطرس» - الذي يقوم الفاتيكان على رفاته - من أبناء القدس، وكلاهما من الشرق، وأن

القديس «مرقس» الذي تقوم كنيسته بمعمارها المتميز على أجمل ميادين أوروبا «سان ماركو» مولود في أقاصي صعيد مصر، وكان مدفنه في الإسكندرية، ومنها أخذ رفاته (ولا أقول سُرق) في القرن التاسع إلى «ڤينيسيا» - وذلك رغم أن كبار فناني النهضة جنحوا إلى تصوير هؤلاء الرسل والقديسين والحواريين معظم الوقت أصحاب بشرة بيضاء وعيون زرقاء وشعر ذهب.

هذا عن التأثر بالمسيحية في شأن تمدن الشمال أو تمدن الغرب.

وأما عن نفحة الفلسفة الإغريقية، فليس هناك من لا يعرف أن الفلسفة الإغريقية لها مقدمات سبقتها وجوار مشرقي أحاط بها وانساب إليها، ثم إن الفلسفة الإغريقية ضاعت من أوروبا في ظلام القرون الوسطى، بينما كان الجنوب الإسلامي في حالة انتعاش وتدفق ثقافي، وضمن تفاعلات هذا الانتعاش والتدفق فإن الفلسفة الإغريقية عادت إلى أوروبا عن طريق فلاسفة الأندلس العرب، وعلى رأسهم الفيلسوف المسلم الأشهر «محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي»، ولم يكن «ابن رشد» وغيره من فلاسفة الإسلام مجرد وسطاء أو ناقلين، وإنما كانوا مجددين زادوا بالدرس، وتوسعوا وأحاطوا.

هي إذن حدود سائلة على حد وصف أستاذ متحف «المتروبوليتان» الحكيم.

□ □ □

بقيت ملاحظة ثالثة أتمنى أن ألمسها في رفق.

إنني توسعت كثيرا في حديث التاريخ، بينما حديثنا عن الصحافة، وظني أن هناك صلة من نوع ما بين الاثنين، معقدها أن الشرق المسلم ومعه مسيحيوه يدفع الضرائب مرتين:

الأولى: لأن حركة التقدم العالمي بسبب ثورة العلوم والتكنولوچيا لم تعطه حتى الآن فرصة لالتقاط الأنفاس، يمسك لحظتها بالعصر ويواصل معه. وفي حين أن الشرق البودي نجح - أحيانا - في الإمساك باللحظة، فإن الشرق الإسلامي ومعه مسيحييوه تعذر عليهم اللحاق لأسباب معقدة ليس هذا مجالها.

والثانية: وهي التي تعنيني لاتصالها بموضوع الإعلام، ملخصها أن الشرق المسلم يعاني من أن الأقلام والأضواء والعدسات كلها توجهت وتركزت عليه، بينما هو يعاني المرحلة الأصعب في الانتقال من قديم إلى جديد، ومن تأخر إلى سبق، ومن عتمة إلى نور.

وبالطبع فإنكم تتذكرون أن ولادة الجديد عندكم جرت وراء ستار، وأما في عالمنا فإنها جارية في منتصف النهار، وكذلك كان الجديد عندنا حملا ومخاضا وميلادا عاريا تحت الوهج وعلى مرأى ومسمع من عالم يتابع ما يجري متجاهلا لحقيقة أن الحمل والمخاض وولادة الجديد حتى وإن كانت مؤلمة عندكم كما هي عندنا - فإن الفارق أنها جرت عندكم مكتومة لتظهر بعدها في كتب التاريخ بأثر رجعي، لكنها عندنا جرت على الهواء مباشرة فبدت وكأنها فضائح بالصورة والصوت واللون.

□ □ □

لقد كنتم محظوظين في اجتياز الجسور من التخلف إلى التقدم - ولم يكن لدينا مع الأسف هذا الحظ أو بعضه.

ويسأل بعض زملائنا هنا في الشمال: وماذا نفعل؟، أو أليست تلك طبيعة عصر السرعة؟ والتساؤل صحيح، والرد عليه بأمانة: أن الإعلام في الغرب ليس مطالبا - بالتأكيد - وهو يغطي الشأن الجاري في الجنوب

أن يستعيد السجلات كل مرة، لكن المرادف المعنوي لتعذر الاستعادة هو استذكار درجة من ثقافة الإدراك والتعاطف والموضوعية.

دعوني أقول إنه ليس من باب التعسف أن نسأل لو أن الصحافة الحديثة وضمنها وكالات أنباء مثل «رويترز» أو مؤسسات مثل A.B.C، وC.B.S، وN.B.C، والجزيرة، وSKY، وFOX، وC.N.N، كانت حاضرة زمن حروب الأباطرة والملوك والكرادلة والعلماء، والمذاهب والطوائف، والقوميات والطبقات، والإمبراطوريات والتحديات الإمبراطورية لها في أوروبا؟!

ماذا على سبيل المثال لو كانت هذه الصحافة الحديثة حاضرة أيام مذبحة «سان بارتولميو» - مثلا - حين جرى ذبح مئات الألوف من «الهوجونوت» الفرنسيين على أيدي مواطنيهم من الكاثوليك، بتحريض كرادلة ونبلاء؟!

وماذا لو كانت هذه الصحافة الحديثة حاضرة في ميدان «الكونكورد» حيث كانت مقصلة الثورة الفرنسية تدور وتقطع رؤوس الملوك والأمراء والسياسيين والمفكرين كل يوم من الصباح إلى منتصف الليل؟! - أو لو عبرت البحر إلى برج لندن تنقل ما يجري وراء أسواره للإخوة من النبلاء والمحظيات وأولياء العهود من مآسٍ وأهوال؟!

وماذا لو كان هناك بث على الهواء مباشرة لوقائع الحرب الأهلية الأمريكية، حين قتل فيها الأخ أخاه، وانتهك عرضه، وحرق زرعه واستباح مدنه وقراه في أطول مجزرة عاشتها أمريكا، وأغزر شلال دم تدفق في العالم الجديد!

وماذا لو كان نفس البث المباشر حاضرا ينقل على الهواء مباشرة مشاهد بعض أو أشد الأعمال ظلما في تاريخ الإنسانية؟! - تلك

التي كان الشمال لسوء الحظ فاعلها، من ظاهرة الاستعمار إلى ظاهرة العبودية - وإلى ظواهر أخرى متوالية في قلب القرن العشرين، وضمنها الستالينية والفاشية والنازية، ومعاداة السامية، ومحارق الهولوكوست التي طالت اليهود وغيرهم من الأجناس والأعراق.

وماذا لو أن هذه الوسائل كانت حاضرة وعلى الهواء مباشرة تنقل الحرب الأهلية في أسبانيا، وتنقل فظائع «جويرنيكا» و«فالينسيا» و«توليدو»، بدل أن تعتمد في وصفها على لمحات من كتابات فنانين وساسة من وزن «بابلو بيكاسو» و«أرنست همنجواي» و«أندريه مالرو» و«هيو توماس»؟!

تذكرون أن وسائل الإعلام الحديث لم تلحق إلا قرب النهاية بأهوال الحرب العالمية الأولى، وإلى حد محدود بالحرب العالمية الثانية، ونعرف بالطبع أن هاتين الحربين العالميتين كانتا صراعا بين قوى الشمال ذاتها، لكن الأطراف المتحاربة نقلت ميادين القتل إلى كافة القارات وفرضتها على كل الأمم والشعوب، وكانت الحصيلة الإنسانية ما بين ستين وسبعين مليونا من القتلى، وما بين مائة وخمسين إلى مائة وسبعين مليونا من الجرحى في الحربين معا، وعندما جاء المشهد الأخير في الحرب العالمية الثانية ووقع استعمال السلاح النووي، فإنه لم يكن هناك نقل مباشر على الهواء، وعلى أية حال فقد اكتفينا جميعا بسماع أصداء المأساة قائلين في نَفَس واحد شمالا وجنوبا: لن يتكرر ذلك مرة أخرى، ومع ذلك وبرغم هذا التعهد الإنساني الجامع فإنه عندما نشبت المعارك في أفغانستان والعراق، لم تتورع القوات الأمريكية عن استعمال أنواع من أسلحة «اليورانيوم» المستنفد، وتلك درجة من الاستهتار - بالوعد وبالإنسان - يصعب اغتفارها.

□ □ □

تلاحظون أنني أطلت الحديث فيما جرى عندكم - وكنت في ذلك عامدا حتى تبين الصورة أمامكم، ومع أن ذلك إلحاح - أعتذر عن طوله ولا أعتذر عن مقصده - فمن الإنصاف أن نتمثل وجها آخر للحقيقة وهذا هو الحال دائما، فإلى جانب ما عرضت لطرف منه - وكان يمكن أن أمضي في قوائمه إلى ما لا نهاية - فإن هناك فضلا يصعب إنكاره مبدئيا على صحافة الشمال، أوله ودون تحفظ، فإن بعض قضايانا توجهت إليها لمحات مضيئة لضمائر يقظى قاومت ضغوطا وتهديدات نعرف مدى خطرها ونقدر درجة نفاذها إلى دوائر صنع القرار والأفكار والحوار.

وعلى سبيل المثال فإنه رغم سطوة أصدقاء إسرائيل فإن بعضا من الحقيقة ظهر وبان عن قضية الشعب الفلسطيني الذي اقتلع من أرضه وأزيح إلى معسكرات وجيتوات مقهورة يائسة - ثم إنه برغم سلطان ما سُمي بجماعة المحافظين الجُدد ومعهم مجموعة المستشرقين الجدد - فإن حقيقة ما جرى في العراق تكشفت ابتداءً من غزو وطن عربي وتمزيقه بغرور وجهالة القوة وبذرائع مختلقة - كما أننا عرفنا أن الشعب العراقي فَقَدَ نصف مليون مواطن قتلوا، وثلاثة ملايين خرجوا لاجئين من وطنهم، بعضهم داخله في العراق، وأكثرهم في المنافي خارجه، ثم إننا بفضل تلك الضمائر اليقظى في الشمال عرفنا ما جرى في معاقل القهر من «جوانتانامو» - إلى «أبو غريب» - إلى «الفالوجة» - إلى «البصرة» - إلى «الموصل».

إن تلك الضمائر الحية في صحافة الشمال هي التي كشفت كثيرين من هؤلاء الذين قدموا خططا سياسية - والذين قدموا فتاوى علمية في خدمة مشروع أخذه ما يعتري الإمبراطورية من حماقة القوة، وتجاهل ما

تراكمه الإمبراطورية من حكمة الخبرة، ليثبت أنه المشروع الأقصر عمرا في تاريخ الإمبراطوريات، لأنه الأقصر نظرا بينها!

إننا وأهم من ذلك كله في تجربة الصب والسحب من الرصيد الإنساني المشترك في المحيط العالمي الأوسع أخذنا هذا العلم البديع الذي قام هذا المعهد ليخدم أهدافه وهو: الصحافة مكتوبة مسموعة مرئية، ولا أتجاوز إذا قلت إنه أدى دورا هائلا في حياة عالمنا.

إنكم بالطبع سبقتم وطورتم، مستعينين باختراقات التكنولوچيا، حتى أصبح الإعلام العابر لمسافات الكون - أبرز ظواهر العصر وأقوى محركاته.

□ □ □

على أن طبائع مراحل التطور كما تفتح باستمرار - تقيد أحيانا فتضع حدودا لما يمكن أن يأخذه الناس عن غيرهم، بل يتحتم عليهم أن يصنعوه في تجربتهم بآلامهم، لأن هناك مجالات يستحيل فيها اختصار المعاناة بالنقل أو بالمحاكاة، تجنبا لإعادة اختراع العجلة من جديد.

وأول هذه المجالات هو مجال الحرية ليس بمعناها الشاعري وإنما باعتبارها توجها إلى نظم دستورية وقانونية مضمونة بعقد اجتماعي وسياسي يفرض احترام الحقوق - وبحيث يستطيع أي مواطن حر أن يمارس مسئولية المواطنة.

إن تجارب الحرية يصعب نقلها ويصعب انتشارها، وتعميمها بالحركة الطبيعية الذاتية لعملية التطور - بل يتحتم صناعتها من البداية إلى مقصودها، أو صيانة هذا المقصود والدفاع عنه، لأن العصور لا تتماثل - والأحوال لكل أحكامها.

فعبر القرن العشرين - بالذات - تحددت القواعد والأصول عندكم، وأصبح ممكنا إرساء أصول وترسيخ بناء، وذلك لم يحدث بعد عندنا في الجنوب، حيث مازالت الحدود مضطربة، ومازالت القواعد واهية، لأن الصراع من أجل التنوير والحرية والتقدم يتخبط محتدما وتحت ظروف عصية.

- بينها أن هذه المعركة في الجنوب تختزل في لحظة زمنية راهنة معارك واجهت الشمال متتالية، فهناك تعاقبت وتوالت عصور التغيير: الحرية والتنوير - الصناعة والتجارة - العدل الاجتماعي - المواصلات والاتصالات - الإنترنت وعالم النشر الإلكتروني - لكنه عندنا تزاحم ذلك كله مع تباين الخلفيات والرؤى والضرورات.

- وبينها أن تداخل العصور أحدث ضغوطا ومؤثرات حادة، قومية ودينية وطائفية ومذهبية أدت إلى خلط بين الأولويات، وإلى شطط في الوسائل قاد أحيانا إلى مجاهل تاهت بعيدا بالمقاصد.

- وبينها أن المناخ الذي يحيط بعملية ولادة تجري على الهواء مباشرة، على قارعة الطريق وفي منتصف النهار يصيب كافة الأطراف بكل الأعراض التي تصاحب الانكشاف، ومنها الاضطراب والادعاء والإخفاء والتعمية.

- وبينها أن نظم الحكم القائمة عجزت أن تؤسس لنفسها شرعية دستورية أو قانونية، ولم تعد سلطتها اختيارا وتفويضا وإنما إملاءً وقمعا، تعطلت إزاءه دواعي الرشد السياسي والاجتماعي وإدارة الأزمات، وذلك ساعد على الإساءة لمشهد التطور عندنا وإساءة إلى صورته.

- ومع أنني أتردد كثيرا قبل أن أضيف أي مسئولية إلى حساب غير المعنيين في الأصل بها، فلابد من القول - ودون حرج - أن العنصر الخارجي يلعب دورا شديد السلبية في منطقتنا من الجنوب - بالتحديد الشرق الأوسط.

فهناك في قلب هذه المنطقة ثلاثة دواعٍ للخطر أشير إليها باقتضاب لكي أتجنب تكرارا شائعا ومملا رغم صحته، وهي بالترتيب: **الموقع الاستراتيجي - وأهمية البترول حتى يظهر بديل له - وإسرائيل.**

وهنا فمن الحق أن أضيف أن التفاعل بين عوار الشرعية الذي أصاب الدولة العربية الراهنة - مع ضغوط التطور في الداخل على النظم - مع دواعي الخطر من العناصر الخارجية - كل ذلك أدى إلى فجوات واسعة سمحت بالتدخل الدولي في الشأن الداخلي للمنطقة، على أنه لسوء الحظ أن بعض النفاذ الخارجي إلى المنطقة لم يكن دائما ضيفا ثقيلا دعا نفسه، وإنما وصل مدعوا مرغوبا فيه لمناورات السياسة الداخلية وتوازناتها المتصورة أو المتوهمة!

□ □ □

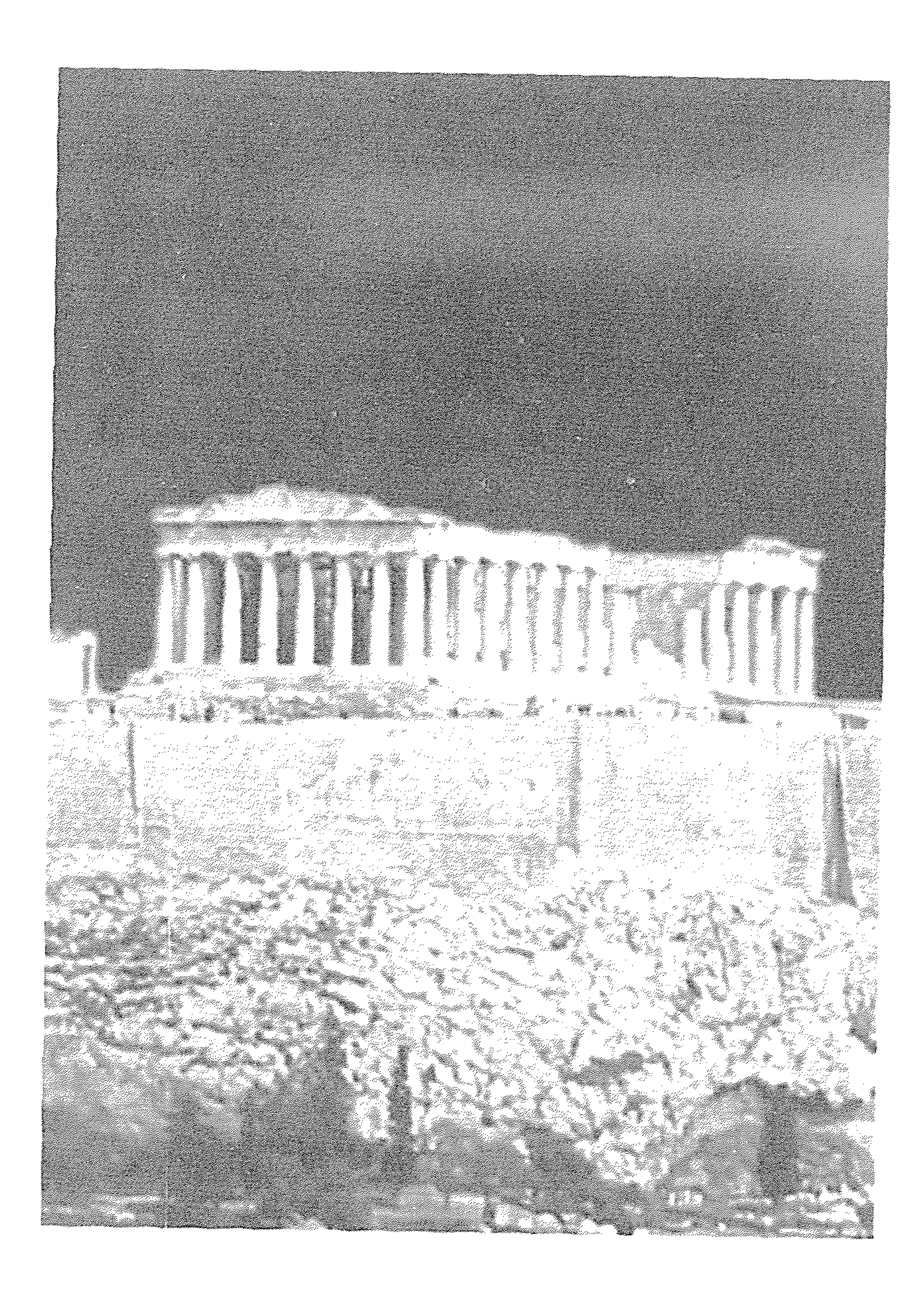
إذا كنت قد وجهت بعض الملاحظات وفي لهجتها نبرة حدة، فإنني لم آت إلى هنا مكابرا ولا معايرا.

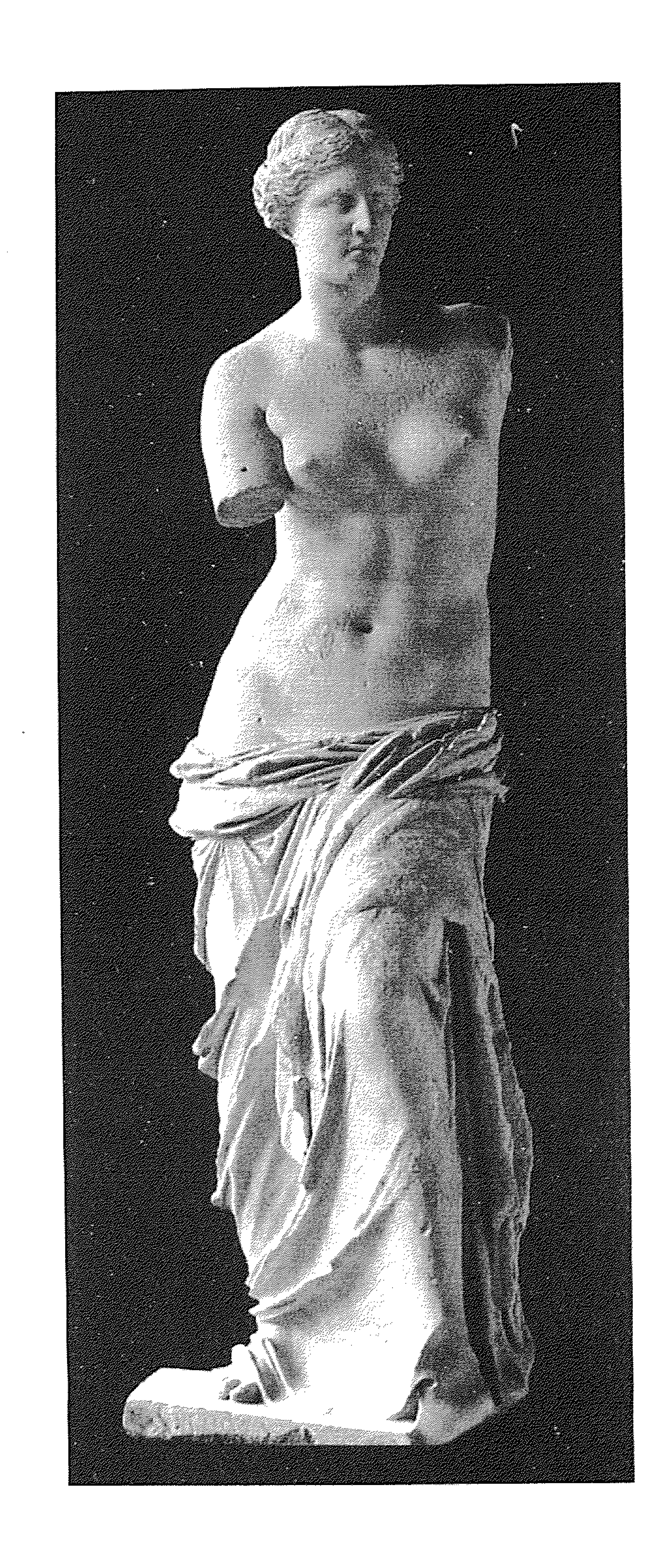
وإذا كنت في نفس الملاحظات قد اعترفت بالتقدير لضمائر حية أدت أمانتها عندكم، فإنني لم آت إلى هنا مادحا أو مهنئا.

وإذا كنت أخيرا قد لمست جانبا من الأوضاع الراهنة في أحوالنا، فإنني لم آت إلى هنا شاكيا أو محرضا.

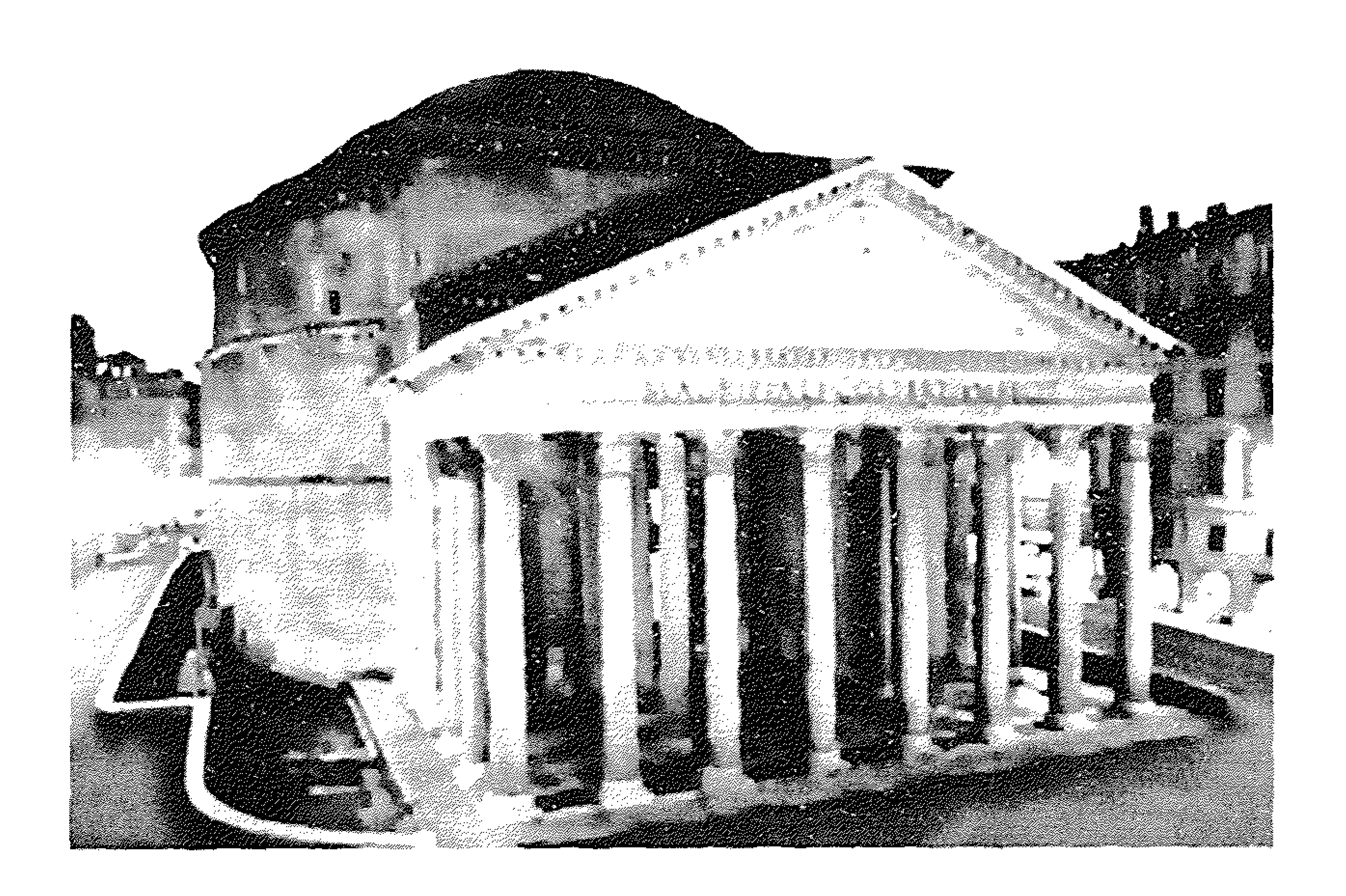
لقد جئت إلى هنا لداع رئيسي هو أن أطل على مشهد المحيط الحضاري الإنساني، قريبا من شاطئ المهنة التي تعنيكم وتعنينا – وجئت وورائي مؤسسة تحمل بمحض المصادفات اسمي، شاغلها خدمة الكفاءة المهنية لشباب الصحفيين العرب.

وقصارى ما أريده وذلك قصدي وهدفي، لا يخرج عن المشاركة معكم في بناء جسر على موقع من مواقع الحضارة الإنسانية الواحدة التي صبت فيه كل الأمم ما تجمع لديها من نتاج ثقافاتها مما يكون صالحا للجميع، وحقا للجميع، لأنه ملك الجميع.









محاضرة في متحف الفن الإسلامي - الدوحة

سؤال العقل إلى الفن



إنني تشرفت بتلقي الدعوة الكريمة إلى حضور هذا الاحتفال بافتتاح متحف للفن الإسلامي في قطر، وسعدت بتلبيتها.

لكنني أعترف أمامكم أنني حين طالعت برنامج الاحتفال، وفيه أسماء الأساتذة الكبار من المشاركين - وهم نخبة من العلماء العارفين بموضوعهم - ترددت، ذلك أنني كاتب صحفي لا يستطيع - ولا يحق له - الادعاء بعلم أو خبرة تزكيه للمشاركة، فقصارى ما لديه اهتمام واحترام للفنون، تعبيرا عن تشوق أي منشغل بالشأن العام إلى الحق والخير والجمال.

وعندما حضرت إلى هذه الساحة، وأطلت النظر إلى هذا المبنى الشامخ على شاطئ الخليج عاودني التردد أمام كتلة مهيبة وتكوينات صلبة وخطوط ناعمة تربط بين المهابة والصلابة والرقة، فذلك مسكن للتاريخ وبيت للفن، تتهامس في سكونه أنفاس مبدعين عظام - نعرف أو لا نعرف أسماءهم، لكننا - معكم هنا - نطل على زمانهم ونلتقي مع أنبل وأجمل ما تركوه لأزمنة لاحقة.

وخطر لي أن دوري في الاحتفال لا يصح أن يتعدى صفة الزائر يرى ويتعلم ويستوعب وينصرف، ثم توصلت إلى أنني - وقد حضرت - أستطيع إبداء ملاحظات عابرة على صرح جليل استطعتم بحافز الحلم وكفاءة تحقيق الحلم أن تقيموه منارة مشعة على شاطئ هذا الخليج،

وعند طرف عالمه العربي، خصوصا في وقت أصبح كلاهما أشد حاجة إلى طاقة من النور!

□ □ □

لعل بعض التدقيق والتحديد لازم حتى يتوافق منطق القول مع واقع الحال، ذلك أن الفنون خيوط بالطول والعرض ضمن نسيج متكامل مع التاريخ والثقافة والحضارة، وبقصد هذا التدقيق والتحديد، فقد يكون مناسبا من باب التمهيد - أن نتذكر ثلاثة حوارات جرت ولازالت تجري على مستوى الإنسانية وعلى امتداد العصور:

- هناك أولا حوار الإنسان مع الطبيعة بحثا عن مطالب العيش والاكتفاء والوفرة والتقدم - وذلك حوار القدرة - حوار الأنفع.
- وهناك ثانيا حوار الإنسان مع نفسه يحاول تأكيد معارفه وتجاربه وخبراته ورغباته وأمانيه وأشواقه وأعرافه ومجموعات قيمه، وهو في هذا الحوار يعبر بكل الوسائل المتاحة عن روحه وشخصيته وذاته - وذلك حوار الثقافة - أو الذاكرة - وهو حوار الأرفع.
- وهناك ثالثا حوار الإنسان مع عالمه والانتشار فيه إلى أبعد وأبعد صوتا وصدى مما يملأ فضاء هذا الكوكب بمناخ مهيأ لذلك الخصب الخلاق الذي تحمله الرياح من كل اتجاه لتزدهر به الحياة على كل ناحية.

لعل مناخ ذلك الانتشار الخصب هو نفسه محيط الحضارة الإنسانية

يتقابل فيها الأنفع بمقدرة النموذج مما صنعته كل المجتمعات – مع الأرفع بجاذبية الفكرة مما حصلته كل الثقافات – مع الأوسع القادر على التخصيب والتوليد والتجديد.

إن حركة التاريخ هي نفسها دوائر هذه الحوارات على المستويات الثلاثة: حوار الأنفع والأرفع والأوسع على اتساع عالم واحد.

إن كل حوار من هذه الحوارات لا يتوقف حتى يمر غيره، ولا ينطق حتى يسكت آخرون، ولا ينتظر حتى يتلقى أذنا، وإنما الحوارات على تدرج مستوياتها حركة تدافع وتواصل، وتداخل وتفاعل، وامتحان واحتكاك، وفي بعض اللحظات نار ودم.

□ □ □

إن حيوية التاريخ بذلك الجدل بين الأنفع والأرفع والأوسع – كانت تبحث عن منهج ولغة وأسلوب يترجم ويطمئن ويشرح، وكانت الثقافة هي المترجم الأصلح والأكفأ – والأكثر مدعاة إلى الطمأنينة والشعور بالأمان.

وكان الفن – روح الثقافة، هو الأقدر على النفاذ في العمق، والكشف عن بعد، والعرض المتجدد بمختلف الإيماءات والإشارات والصياغات.

وهنا نصل إلى لقائكم هنا، وإلى ملاحظات عابرة لكاتب صحفي على متحف عتيد للفن الإسلامي:

١ – كل فن بالضرورة دال على مصدره، وتلك حقيقة أشياء، فإذا لاحظنا أن الإسلام خرج من شبه الجزيرة العربية يحمل شريعة

إلهية تأمر وتنهى - فإنه عندما اجتاز المساحات شمالا وشرقا وغربا وجد أمامه ظواهر إنسانية دنيوية هي ثقافات الأقاليم التي بلغها:

على شرقه وجد الثقافة الساسانية بروافدها الآسيوية.

وعلى أمامه وجد الثقافة البيزنطية بروافدها المتوسطية.

وعلى غربه وجد الثقافة المصرية بروافدها الفرعونية.

وفي لحظة حرجة حاسمة كان محتملا أن تجرف موجات الفتح مروج الثقافات التي وجدتها حولها، لكن موجات الفتح - ربما بالشعور أكثر من الوعي - تمهلت ثم وقفت مبهورة أمام تعبيرات هذه الثقافات متجلية في الفن، ثم إذا هي تحتضن ولا ترفض، وتستوعب ولا تتكبر، وكذلك ظهر حوض الحضارة الإسلامية باقة نبت وزهر متنوعة منسجمة زاهية ملفوفة بعطر له مذاق.

٢- إن حوض الحضارة الإسلامية على هذا النحو - سمح بما هو أرحب وأخصب - لأن إطاره عندما اتسع للجميع حقق خاصية مدهشة تُحسب له، هي خاصية التعدد مع الوحدة والتنوع مع الانسجام، وتلك ظاهرة فريدة إذا تذكرنا أن ساحة ما نسميه الفن الإسلامي اتسعت ولاتزال تتسع لتعبر عما هو غير إسلامي في عالمه، وهي لا تتسع فقط وإنما تقبل وتشجع.

٣- إن الفن الإسلامي بقى بعيدا عن مظلة السلطة الدنيوية التي أرادت في مراحل من تاريخ الإنسانية أن توظف الدين لخدمة السلطة، فكان أن المسجد ظل إلى حد بعيد في حوزة الحرية.

إن المسجد لم يعرف هيئة التمثال، ولا لون الصورة، ولم يسمع صوت الموسيقى ولا ترانيم الغناء، ومع أن فنون المعمار أعطت للمسجد جدرانه وأعمدته وقبابه ومآذنه، إلا أن الفن لم يدخل إلى المسجد لخدمة السلطة، وعندما وجدت السلطة طريقها إلى المسجد، فإن الفن لم يكن أداتها، بل كانت وسيلتها انتزاع المنابر ليحتلها دعاة السلاطين!

٤- إن الفن الإسلامي مع ابتعاده عن التشخيص بالنحت والرسم واللون والصوت، استطاع ومن خلال تجلياته الهندسية والرياضية أن يبدع أشكالا ومساحات قابلة للامتداد إلى ما لا نهاية، والشاهد أن السمة الغالبة في صياغات الفن الإسلامي من المعدن والحجر والخشب والنسيج استطاعت تحقيق ظواهر استثنائية: فيها ذلك الامتداد المفتوح بين الزخارف على الأبد - وذلك التواصل والترابط بين الأجزاء بغير ضيق أو زحام - وذلك النظام المتسق مع التنوع الطليق - وتلك كلها شواهد سلام وطمأنينة في الداخل ومع الخارج.

٥- إن الثقافة الإسلامية - وذلك ما تقوله لنا تجربة الأندلس العظيمة - لم تكتفِ بالترجمة، وإنما قامت بعملية صهر بين الثقافات - وذلك ما توسع فيه الأستاذ «داڤيد ليفرنج لويس» (الأستاذ بجامعة نيويورك) في كتابه «بوتقة الصهر الإلهي» God's Crucible، ومؤدى بحثه أن أثر «بوتقة الصهر الإلهي» في الأندلس - والفن الإسلامي جوهرتها - هي التي دعت أوروبا إلى توصيف نفسها في عهد «شارلمان»، وقادت إلى ظهور نظام الإقطاع، ونظام «الفرسان»، وإعادة النظر في كثير من أسلحة الحرب، ونشأة الجامعات، وحتى إلى صوت نفير - يعتبره مؤرخو عصر التنوير - صيحة تحذير تستدعي أوروبا إلى اليقظة: أقصد أغاني «رولاند» The Roland songs.

إن تأثير الأندلس ارتحل مع حملات الكشوف البحرية نحو العالم الجديد إلى شواطئ المحيط الهادي شرقا، ثم واصل رحلته إلى الغرب، حاملا إلى شطآن «كاليفورنيا» لمحات من «قرطبة» و«توليدو».

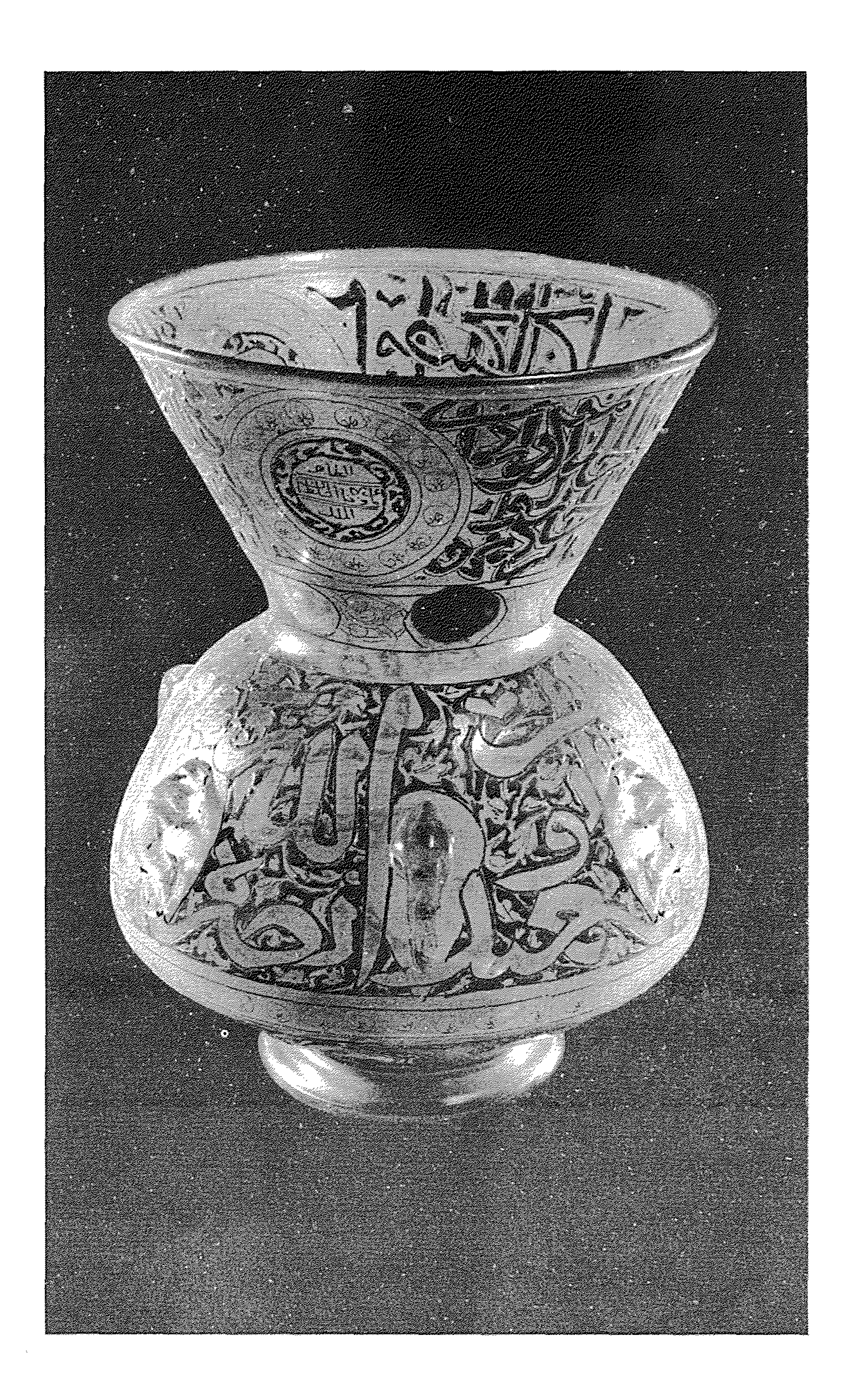
□ □ □

والآن وبإذنكم أصل إلى سؤال لعله القصد في النهاية.

سؤالي هو:

هل يستطيع العقل العربي المعاصر أن يطل على عالم الفن الإسلامي - ثم يستلهم إجابات مقنعة على أسئلة سياسية واجتماعية وثقافية راهنة وحالة؟!!







على هامش
صراع الحضارات
(رؤية صحفي)

"إننا نجد أنفسنا بالواقع وبسهولة شديدة - محزنة في نفس الوقت - نساعد على تحويل صراعات سياسية إلى حروب هويات حضارية تخرج غاضبة منسحبة من شراكة التقدم الإنساني الجامع والشامل مع أي استفزاز - يتحول بالإثارة إلى فتنة، ويتحول بالفتنة إلى حرب، ويتحول بالحرب إلى قطيعة، ويتحول بالقطيعة إلى حصار للذات، ومن سوء الحظ أن حكومات عربية إسلامية - بوعي أو بغير وعي - تصرفت حِيال الفتنة بقدر كبير من قصر النظر في إدارة الأزمات إن لم يكن بقدر كبير من سوء النية بمحاولة استغلال الفتنة للإلهاء والتغييب."

محمد حسنين هيكل





دار الشروق
www.shorouk.com